كلمة المسار تونس الحرّة ... أو "الملحمة الخالدة"

◆ محمّد البـدوي

تصدر مجلّة "المسار" والبلاد تعزف من شمالها إلى جنوبها لحن شاعرها الخالد :

إذا الشعب يوما أراد الحياة   فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ للظلـم أن ينجلـي   ولا بدّ للقيـد أن ينكسـر

إنّ تونس تعيش أدقّ مرحلة من تاريخها، إنّها الثورة على الاستبداد والطاغوت الذي تفنن في كل أنواع القمع والاضطهاد ولجم الأفكار والأفواه، وقد جثم على البلاد أكثر من عقدين من الزمن ... إنها ثورة الجيل الجديد من العاطلين والعمال والطلبة والنقابيين والمحامين والأطباء والمثقفين والأدباء والجامعيين الحالمين بجملة من القيم التي آمنوا بها...

ولئن كان منطلق الثورة المباركة حادثة اجتماعية مأساوية في مدينة سيدي بوزيد، فإنها تحولت إلى قضية سياسية شاملة التفّت حولها كلّ ألوان الطيف السياسي والفكري في كل المدن والقرى من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب.. وقد أجمع على ريادتها وأصالتها القاصي والداني، وصارت ترعب أصحاب العروش الهشّة...

واتحاد الكتّاب التونسيين لم يتخلّف عن دوره الطلائعي ... فقد بادرت الهيئة المديرة إبان اندلاع الثورة وقبل سقوط الدكتاتور إلى اتّخاذ جملة من القرارات والمواقف نذكر منها :

1 - قرار الهيئة المديرة للاتحاد يوم 9 جانفي 2011 تحوير المسؤوليات داخلها تم بمقتضاه إقالة السيدة جميلة الماجري من رئاسة الاتحاد، ولم يكن مجرّد قرار شكلي، بل كان ضرورة ملحّة حتّى تحقق الهيئة الجديدة بعض ما وعدت به في المؤتمر. وقد تسلّح الأعضاء بالشجاعة لاتخاذ هذا الموقف وسط محاولات تأثير من جهات عديدة حتى تفصل بين هذه الثورة الداخلية وثورة الشعب في كل البلاد .

2 - إصدار بيان بعد يومين من تجديد الهيئة المديرة عبّر بكل صراحة ووضوح عن موقف الاتحاد مما يحدث، رغم محاولات البعض دفعنا إلى تجنب هذه البيانات.

يطالب : بالوقف الفوري لإطلاق النار على المواطنين العزل وبرفع الحصار عن كافة المدن والقرى وإيقاف حملات المداهمة والاعتقالات، وإطلاق سراح كافة الموقوفين على خلفية التحركات الاحتجاجية.

....

- يدعو إلى الإسـراع بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تلبي المطالب الشعبية وتشريك اتحاد الكتاب التونسيين في صياغتها

3 - إصدار بيان غداة انتصار إرادة الشعب التونسي يمجّد إرادة الشعب التونسي العظيم.

واليوم ونحن نستعد لإصدار "المسار" من جديد نرجو أن تكون المرحلة جديدة بحق تعبّر عن إرادة الكاتب التونسي بعيدا عن لغة الإقصاء والرقابة، فليشحذ كتّابنا أقلامهم ليُهدوا لهذه البلاد العظيمة إبداعات خالدة تكون في حجم الثورة التي ستبقى مرجعا وعلامة مشرقة في التاريخ العربي والإنساني ... إنها ثورة الشعب بعيدا عن كلّ وصاية أجنبية.

فلنحدو جميعا ثورتنا بما تستحقه من أنوار أفكارنا، وجميل إبداعاتنا، حتّى تبقى دائمة الإشعاع، لا تطمع فيها قوى الردّة ولا يبتزّها الطامعون ... واتّحاد الكتاب التونسيين وقد بلغ اليوم سنّ الأربعين جدير بأن يكون من المؤتمنين على هذه الثورة المباركة.

اتحاد الكتاب التونسيين

1971 - 2011

40 عاما في خدمة الثقافة والإبداع

قسيمة اشتراك

الاسم واللقب: ....

العنوان: ....

الترقيم البريدي: ....

الهاتف: ....

- يتم ارسال طلب الاشتراك مصحوبا بنسخة من حوالة بريدية أو نسخة من صك بنكي تمّ ايداعه بالحساب الجاري للمجلة :

(10000000081765-778861 الشركة التونسية للبنك STB فرع ثامر - تونس).

- يرجى أن يكون الخط واضحا.

بيانات

اتحاد الكتاب التونسيين

تونس في: 09 جانفي 2011
الرقم: 231/2011

بيـــــان

إن أعضاء الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين المجتمعين اليوم 9 جانفي 2011 بمقر الاتحاد وبعد تقييمهم لأداء الاتحاد بعد سنتين من انتخاب الهيئة المديرة الحالية يقرون بعجزهم عن تلبية اغلب تطلعات الأعضاء سواء البسيطة أو المكلفة ومن أجل تحقيق الأهداف التالية:

- ربط علاقة تعاون جدية ومسؤولة ومتينة مع مختلف الأطراف المعنية بالقطاع الثقافي.
- إعادة بناء الثقة بين الأعضاء والهيئة المديرة للاتحاد.
- الانخراط المسؤول والواعي في المشروع الثقافي الوطني لما فيه خير الفكر والأدب .
- العمل على الرفع من منزلة الاتحاد منظمة ثقافية لها أهمية كبرى في المشهد الجمعياتي بالبلاد ومكونا أساسيا من مكونات المجتمع المدني .
- تنفيذ مقررات الجلسة العامة التي انتخبت الهيئة الحالية .
- تنفيذ القرارات التي اتخذتها الهيئة المديرة خلال السنتين ولم تقع متابعتها.
- الالتزام بمعاملة الأعضاء باحترام ودون محاسبة لهم على مواقفهم ولا على أرائهم الخاصة.

يقررون إعادة توزيع المسؤوليات داخل الهيئة المديرة للاتحاد على النحو التالي:

- الدكتور محمد البدوي: رئيسا.
- السيدة مسعودة بوبكر: نائبة رئيس.
- السيد صلاح الدين الحمادي : أمين مال.
- السيد محمد الهادي الجزيري: كاتبا عاما.
- السيد مراد العمدوني: مسؤولا عن الإعلام والنشر.
- السيد المولدي فرّوج: مسؤولا عن النوادي والفروع.
- السيد شمس الدين العوني: مسؤولا عن العلاقات الخارجية.
- السيد إبراهيم درغوثي: مسؤولا عن الندوات والدراسات.

الهيئة المديرة للاتحاد

(ختم: اتحاد الكتاب التونسيين)

الحساب البنكي الجاري للاتحاد : 50 788 4 / 059857 000 000 10 الشركة التونسية للبنك – فرع تونس ثامر–
الهاتف: 807– 257 – 71 / 591– 257 – 71 / الفاكس: 265 – 344 – 71
البريد الالكتروني للاتحاد : Email: uniondesecrivainstunisiens@ yahoo.fr

اتحاد الكتاب التونسيين

تونس في: 12 جانفي 2011
الرقم: 233

بيان اتحاد الكتاب اتونسيين
حول الأحداث الجارية ببلادنا

إن اتحاد الكتاب التونسيين و أمام الأحداث المؤلمة التي تعيشها بلادنا و الحالة التي آلت إليها وما شهدته من تحركات احتجاجية في مختلف انحاء البلاد :

- يعبر عن شجبه لعمليات القتل التي راح ضحيتها العشرات من أبناء شعبنا ويدعم المطالب التي يعبر عنها الشارع التونسي من حق في الشغل وتوق إلى الحرية وإدانة للفساد .
- يطالب ب :
- الوقف الفوري لإطلاق النار على المواطنين العزل وبرفع الحصار عن كافة المدن والقرى وإيقاف حملات المداهمة والاعتقالات .
- إطلاق سراح كافة الموقوفين على خلفية التحركات الاحتجاجية .
- يدعو الكتاب والمثقفين وجميع أبناء شعبنا إلى التعبير عن آراءهم ومطالبهم سلميا وصيانة مكتسبات المجموعة الوطنية ويدعو إلى تغليب صوت العقل والانتصار إلى قوة المنطق بدل منطق القوة والانصات إلى تطلعات الشباب التونسي وتطوير الخطاب الإعلامي حتى يكون في مستوى الحدث وما تنتظره منه مختلف فئات الشعب المتطلعة لحياة كريمة قوامها العدل والحرية والكرامة.
- يدعو إلى الإسراع بإجراء اصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تلبي المطالب الشعبية وتشريك اتحاد الكتاب التونسيين في صياغتها .
- يتمسك بمطالب الكتاب في حرية الفكر والتعبير التي يضمنها دستور البلاد ويتضمنها القانون الأساسي للاتحاد .
- وأخيرا يحذر من الاعتداء معنويا أو ماديا على أي عضو من أعضائه وتحت أي ظرف من الظروف .

تونس في 2011/01/12
عن الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين
صلاح الدين الحمادي

اتحاد الكتاب التونسيين

الحساب البنكي الجاري للاتحاد : 50 788 4 / 059857 000 000 10 الشركة التونسية للبنك – فرع تونس ثامر–
الهاتف: 807- 257 – 71 / 591- 257 – 71 / الفاكس: 265 – 344 – 71
البريد الالكتروني للاتحاد : Email uniondesecrivains@ yahoo.fr
البريد الالكتروني لمجلة المسار : almassartunisie@yahoo.fr

اتحاد الكتاب التونسيين

تونس في: 15 جانفي 2011
الرقم: ....

بيان اتحاد الكتّاب التونسيين

إن الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين إذ تحيّي الهبّة العظيمة لشعبنا البطل و التي اسقط بها الديكتاتورية و ألقى بها في مزبلة التاريخ فاتحا ببسالة بوّابة الحرية للجميع:

- تترحم على شهداء ثورة الشعب العظيمة.
- تحيي الجيش التونسي على موقفه المشرف و انتصاره لإرادة الشعب.
- تهيب بكافة أبناء الشعب أن يظلوا متيقظين للمحافظة على توهّج هذه الثورة الديمقراطية العارمة حتى يقطعوا الطريق أمام عصابة الإجرام و قوى الارتداد.
- تدعو الشباب الذي أسقط النظام الفاسد إلى العمل على رعاية ممتلكات الشعب الخاصة و العامة و ذلك بالانخراط في اللجان الشعبية للدفاع المدني التي تشكلت بمختلف جهات البلاد.
- تدعو إلى فتح تحقيق عاجل لمحاكمة المجرمين الذين أودوا بحياة شهداء ثورتنا الشعبية كما تدعو النخب الفكرية و السياسية و الحقوقية و النقابية إلى النضال سويا من أجل المحافظة على ما تحقق و الانتقال بالوطن إلى مرحلة جديدة فيها الديمقراطية و حرية التعبير و حرية التنظم و ذلك بتكوين حكومة وحدة وطنية تشارك فيها مختلف الأحزاب و الحساسيات السياسية و مكونات المجتمع المدني
- تدعو هذه الحكومة إلى الإسراع بمراجعة شاملة لقانون الجمعيات و المجلة الانتخابية و مجلة الصحافة.كما تدعوها إلى تنظيم انتخابات حرة و نزيهة وفق ما اقره الدستور
- تدعو إلى الإسراع بتكوين لجنة وطنية من شخصيات مستقلة مشهود لها بنزاهتها لمحاسبة كل الذين تورطوا في الفساد و استغلال السلطة طيلة الحقبة البائدة.
- و أخيرا تدعو أعضاء الاتحاد إلى إطلاق العنان لأقلامهم التي ألجمت طويلا .و إلى الانضمام إلى اللجان الشعبية للدفاع المدني .

عاشت إرادة الشعب التونسي العظيم

و المجد كل المجد للشهداء

اتحاد الكتاب التونسيين

الحساب البنكي الجاري للاتحاد : 50 788 4 / 059857 000 000 10 الشركة التونسية للبنك – فرع تونس ثامر–
الهاتف: 807– 257 – 71 / 591– 257 – 71 / الفاكس: 265 – 344 – 71
البريد الالكتروني للاتحاد : Email: uniondesecrivainstunisiens@ yahoo.fr

اتحاد الكتاب التونسيين

تونس في: 06 فيفري 2011
الرقم: 2-- 237

بيان المجلس الوطني لاتحاد الكتّاب التونسيين

إن المجلس الوطني لاتحاد الكتاب التونسيين المجتمع يومي 5 و6 فيفري 2011 بمدينة المنستير،

- يقف إجلالا وإكبارا لشهداء الثورة التونسية العظيمة التي كنست الدكتاتورية و أطلقت حمائم الحرية في سماء وطننا العزيز.
- يعلن عن وقوفه في صف القوى الحامية للثورة مشددا على ضرورة التصدي لكل محاولات الارتداد والالتفاف على تضحيات شعبنا العظيم.
- يدعو أعضاء الاتحاد وكل الكتاب والمثقفين إلى التجند بأقلامهم وأرواحهم من أجل تجسيد أهداف الثورة المجيدة .
- يحتفظ بموقف نقدي ومراقب للحكومة الحالية مشددا على ضرورة استجابتها لتطلعات الشعب التونسي إلى الحرية والكرامة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية.
- يدعو هذه الحكومة إلى الكشف وبسرعة عن ملابسات مختلف مظاهر الانفلات الأمني التي تشهدها عديد الجهات بالبلاد.
- يطالب بحق الاتحاد في المشاركة في لجنة الإصلاح السياسي ولجنة تقصي الحقائق ولجنة الفساد والرشوة كما يطالب بحل المجالس الجهوية و اللجان الثقافية الجهوية والمحلية وإعادة تشكيلها وتشريك اتحاد الكتاب التونسيين فيها باعتباره مكونا أساسيا من مكونات المجتمع المدني .
- يعلن أن اتحاد الكتاب التونسيين يحتفظ بحقه في المطالبة بتشريكه في رسم السياسة الثقافية بالبلاد.
- يندد بشدة بالتهديدات التي تستهدف الكتاب في مختلف الجهات على خلفية مشاركتهم في مسار الثورة ويحمل السلطات مسؤولية سلامتهم .
- يذكر بموقفه المبدئي الرافض لمختلف أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني .
- يعبر عن رفضه القاطع لكل محاولات التدخل الأجنبي الرامية إلى الانحراف بمسار الثورة وإجهاض آمال أبنائها.

عاش الشعب التونسي العظيم

المجد والخلود لشهداء ثورته الرائدة

عاش اتحاد الكتّاب التونسيين حرا منحازا لخيارات الشعب

اتحاد الكتاب التونسيين

الحساب البنكي الجاري للاتحاد : 50 788 4 / 059857 000 000 10 الشركة التونسية للبنك - فرع تونس لامر-
الهاتف: 807- 257 - 71 / 591- 257 - 71 / الفاكس: 265 - 344 - 71

اتحاد الكتاب التونسيين

تونس في: 06 فيفري 2011
الرقم: 2 - 236

بيان المجلس الوطني لاتحاد الكتاب التونسيين
مساندة لثورة مصر

إن المجلس الوطني لاتحاد الكتاب التونسيين المجتمع يومي **5** و **6** فيفري **2011** بمدينة المنستير ، وهو يستنشق أنفاس الحرية والانعتاق بفضل ثورة أبناء هذا الوطن الأبي الذي خط للبشرية صفحة مشرقة بنموذج ثوري خلاق فهبت شعوب وأقطار وطننا العربي تستلهم تجربته المضيئة ، وإذ يتابع بفخر واعتزاز الثورة العارمة لأبناء أرض الكنانة :

- يشد بقوة على أيدي أشقائنا في مصر العروبة ويقف بخشوع إجلالا لأرواح الشهداء.
- يعبر عن تضامنه المطلق مع الشعب المصري الشقيق بمختلف مكوناته .
- يعلن عن وقوفه إلى جانب كل الكتاب والمثقفين في مصر .
- يندد بكل محاولات التدخل الخارجي لإجهاض هذه الثورة المباركة .
- يهيب بكل مثقفي وأحرار العالم ، أفرادا وأحزابا ومنظمات ، أن يسندوا ثورة مصر الأبية بكل أشكال الدعم المتاحة .
- يدعو اتحادات وروابط وجمعيات وأسر الكتاب والأدباء في أقطار وطننا العربي إلى مساندة ثورة أبناء ميدان التحرير .
- يدعو مثقفي وكتاب تونس إلى الوقوف إلى جانب هذه الثورة الشعبية العظيمة.

عاشت أمتنا العربية حرة أبية ثائرة
المجد والخلود لشهدائها

اتحاد الكتاب التونسيين

الحساب البنكي الجاري للاتحاد : 50 788 4 / 059857 000 000 10 الشركة التونسية للبنك – فرع تونس ثامر–
الهاتف: 807- 257 – 71 / 591- 257 – 71 / الفاكس: 265 – 344 – 71

بيانات الفروع

نابل في 20 جانفي 2011

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بنابل

أمّا وقد توضّحت ملامحُ المسيرةِ الشعبية المقدسة والهبّة الساخطة على نظام حكم طاغ باغ، وبدأت تتجلى نتائجها المباركة المتمثلة في القطع أساسا مع نظام مجرم خان الوطن وقتّل الأطفال وانتهك أعراض العائلات، فإن فرع اتحاد الكتاب التونسيين بنابل يقف إجلالا لأرواح الشهداء ويعلن صرخته المدوية في وجه كل الذين كانوا بالأمس القريب يلحسون فضلات سيدهم المجرم بن علي ويطبّلون لسياسته "الرشيدة" ويصوغون القصائد والأزجال الشعبية ويتباهون في صفاقة بذلك ،ويحبّرون فيه المقالات المجدة على أعمدة الصحف فتمعّشوا واستكرشوا وبنوا العمارات وضخموا أرصدتهم البنكية وغيروا مقرات جرائدهم المأجورة، وهاهم اليوم يتزاحمون على قنوات البث ليسُبّوا سيّدهم. وما أرخصهم. من دون حياء لأنهم أصلا بلا حياء ،وهم معروفون في أغلبهم لدينا .

وإذ أننا نرفض أن يسرقوا دماء الشهداء وجهد المنتفضين وعناء المضطهدين ويركبوا على ظهر الحركة الشعبية الساخطة على الظلم والظالمين فإننا :

.نحذر من هؤلاء وندعو إلى محاصرتهم إعلاميا في زاوية مكشوفة لفضحهم حتى نفسد عليهم مخططاتهم القذرة الاستغلالية التي طالما تعودوا عليها حتى لا يعودوا من جديد إلى واجهة المشهد الثقافي .

.نطالب بحل الحزب الحاكم السابق وجميع أجهزته الإجرامية وهو الذي ساهم على مدى أكثر من عقدين في تكريس المظالم، من رشوة ومحسوبية وأكتاف وغيرها من الطرق المشبوهة القذرة التي مارسها الكثير من منتسبيه في خيانة صارخة للوطن الحبيب.

.ندعو إلى إعادة صياغة الدستور وتحويل نظام الحكم من رئاسي إلى برلماني..

.نطالب بمحاسبة كل الذين يثبت تورطهم في سرقة أموال الشعب من قريب أو بعيد .

.ندعو كافة المواطنين أن يعدوا قائمة اسمية في كل الذين يعرفون عنهم سرقات وإثراء بغير وجه حق لينيروا بها القضاء النزيه الذي سيتولى التحقيق في الأمر.

.نعلن عن رغبة جامحة في تطهير اتحاد الكتاب التونسيين من الأوساخ اللا بشرية التي علقت به وخانت الكلمة النابضة بنبض الأمة.

.نساند الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين في دعوتها إلى الحفاظ على مكتسبات ثورة الشعب وصرخته التي لا تقبل أي نوع من المساومة والاستغلال من فئة اللصوص بجميع أنواعهم، لصوص المال ولصوص الفكر.

عاشت الكلمة الصادقة الحرة

عاشت الكرامة التونسية الأبية

عاشت نضالات تونسنا الغالية .

والخزي للخونة والمنحنين واللحاسين والمتاجرين الرخصاء بدماء الشعب.

رئيس فرع الاتحاد بنابل
صلاح داود

قفصة في : 21 جانفي 2011

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بقفصة

تشـهد تونس هذه الأيام هبة ثورية لم يعرف لها التاريخ الحديث مثيلا مما يحتم علينا ككتاب ومثقفين أن نكون في مستوى ما أنجزته هذه الثورة الرائدة .

ولئن كان الشباب التونسي النار التي أشعلت هذه الثورة ووقودها ، فإن شرائح عديدة من المجتمع التحقت بالثورة لمآزرة الشـباب ولإسـقاط دولة الطغيان والجـبروت حتى نبني تونس الجديـدة. تونس العدل والحرية والمساواة.

إن اعضـاء اتحاد الكتاب التونسيين بقفصة وهم يعيشون نشوة هذا الانتصار يقفون إجلالا لكل من ساهم في هذه الثورة ويركعون لكل شهيد دفع دمه فداء للوطن.

وبهذه المناسـبة فإننا في فرع اتحاد الكتاب التونسـيين بقفصة ندعو إلى وحدة الصف لكل كتاب تونس دون إقصـاء أو تهميش، ونرجو من كل الكتاب أن يلتفوا حول اتحادهم من أجل تحقيق كل مطالبهم المشـروعة التي ناضلنا لتحقيقها سنوات طويلة.

وندين الأصـوات المشـبوهة التي تحاول المس من إتحاد الكتاب التونسـيين والدس لهيئته المديرة بالتشـويه المكشوف لكل صاحب عقل سليم.

عاش اتحاد الكتاب التونسيين حرا ، مناضلا ومستقلا.

عاشت ثورة الشعب في تونس.

والمجد والخلود لشهداء ثورة الكرامة في تونس

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بجندوبة

نحن أعضـاء فرع إتحاد الكتاب التو نسـيين بمدينة جندوبة نساند الهيئة المديرة الحالية لمواصلة مشوارها من أجل تحقيق مكاسب الكتاب في هذا القطر ووقوفها المشروع من أجل دورها المتميز في هذه المرحلة.

وكي لا تسـرق مكاسـبنا ومكاسب ثورة شعبنا نواصل العمل مع الهيئة الحالية ونناشدها أن تكون في مستوى اللحظة التاريخية المتميزة التي يمر بها قطرنا.

الكاتب العام لفرع الاتحاد بجندوبة
طارق العمراوي

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسوسة

بيان مساندة الثورة وإرادة الشعب

نحن الهيئة الموسعة لفرع اتحاد الكتاب التونسيين بسوسة المجتمعون يوم الجمعة 21 جانفي 2011 وبعد الترحّم على شهدائنا الأبرار الذين سقطوا في ساحة الوغى وسالت دمائهم من أجل التحرير الوطني ، نبارك الثورة الشعبية التاريخية التي اندلعت يوم 14 جانفي 2011 ضدّ الظلم والقهر واستعباد رقاب المواطنين المخلصين لتونس ، كما نعلن بلا قيد أو شرط مساندتنا التامة للثورة والعمل على عودة الاستقرار لبلادنا والسعي جميعا لتنفيذ المطالب المستعجلة التي نادت بها من أجل الكرامة والعزة ونشر الحريات ثمّ إبداء الرأي بلا وصاية ونصرة إرادة الشعب في تقرير مصيره ، لذا يؤسفنا جدا ما تتعرّض إليه جمعيتنا العريقة / اتحاد الكتاب التونسيين ممثلا في هيئته المديرة الحالية من حصار ووصاية من طرف مجموعة من الدخلاء التي تسعى بكل الطرق إدخال الشك في نفوس أعضائه المنتشرين بكامل جهات البلاد واتهامهم بالتقصير وخذلان الثورة وهذا ليس صحيحا ولا يليق بالكتاب الشرفاء....إلى جانب ترويج الدعايات الباطلة حولهم ، لذا ومن موقعنا كفرع سوسة ، نعبّر عن استيائنا التامّ من هذه الممارسات التي يلتجأ إليها قلّة قليلة من الصيّادين في الماء العكر ونعرب عن تمسكنا بأهداف اتحاد الكتاب التونسيين النبيلة ونصرتنا لقضايا كتابنا التونسيين أعضاء الإتحاد الضاربة جذوره في التاريخ . ولا نملك إلاّ الدعوة لتحكيم العقل والرصانة في مثل هذه الظروف واتخاذ القرارات الموضوعية التي تبني ولا تدعو للهدم.. والكفّ عن الشعارات الفضفاضة التي تتحامل على الهيئة المديرة الحالية المنتخبة عبر الاقتراع الواضح ، والتي تبذل رغم التململ الذي تعايشه ما استطاعت لنصرة هذه الانتفاضة الشعبية التونسية الباسلة والقضاء على كل أشكال العنجهية التي كان يمارسها زبانية النظام السابق مع الشعب التونسي الذي لقنهم درسا لا ينسى في الديمقراطية وحقوق الإنسان... فلنهبّ جميعا لبناء جمهورية الشعب التي قطعت مع الفوضى والظلم .

هيئة فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسوسة

(محمد الدلال : رئيس ، جلال باباي : كاتب عام و منذر العيني : أمين المال

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بالمهدية

ان فرع اتحاد الكتاب بالمهدية اذ يهنئ الشعب التونسي بالروح التي جابه بها الطغيان و اسقط بها الدكتاتور و رمى بأذياله الى مزبلة التاريخ.

- يترحم على الشهداء الابرار الذين اناروا بارواحهم طريق النور امام هذا الشعب
- يشد على ايدي المعتصمين في الشارع الى حين سقوط اخر وجه من وجوه العهد البائد
- يدعو جميع الكتاب و المثقفين الى مواجهة المرحلة بكل ما تتطلبه من توافق و ترابط
- يحذر من اتباع الحزب المسقط الذين نراهم يهرولون نحو ثمرة الثورة لاقتطاع نصيبهم منها و يدعو كل الضمائر الحية الى نبذهم و رميهم في خانة الخائنين.
- يبارك ما بادرت به الهيئة المديرة يوم 9 جانفي بتغيير المسؤوليات داخلها ويدعوها الى تنفيذ ما وعدت به في بياناتها السابقة.

عاش الكاتب حرا مناصرا لشعبه

عاش اتحاد الكتاب مناضلا و مدافعا عن الحرية و الكرامة .

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بتوزر

إنّ فرع اتّحاد الكتّاب التّونسيين بتوزر تفاعلا منه مع الانتفاضة الشعبيّة المباركة

- يحيّي نضالات شعبنا وتضحياته في سبيل التحرّر الوطني والديمقراطي والاجتماعي .
- يعبّر عن ابتهاجه بسقوط النظام الاستبدادي- الدّمويّ الذي أمعن في تخريب الإنسان ومكوّنات المجتمع ونهب ثروات البلاد.
- يترحّم على أرواح شهداء الحرية والكرامة الوطنيّة كافة .
- يدعو مكوّنات المجتمع المدني والشّعب التّونسي إلى اليقظة المستمرّة بما يحقق توقه إلى كنس بقايا النظام السّابق وإرساء نظام ديمقراطيّ تعدّدي ومؤسسات مدنيّة فاعلة تعبّر عن إرادة الشّعب .
- يشجب بشدّة كلّ أشكال التخريب والعنف ويدعو إلى محاكمة كلّ أزلام النظام البائد المتورّطين في القتل والرّشوة والتخريب واختلاس أموال الشعب.
- يدعـو إلى تكويـن لجنة وطنيّة من الحقوقيين المسـتقلّين لمحاكمة المتورّطين في أعمال القتل والسّـرقة والإجرام .
- يدعـو حكومـة الائتـلاف الوطنيّ إلى اتّخـاذ الإجراءات اللاّزمـة لتغيير الدّسـتور والقوانين بما يؤهّل للقيام بانتخابات رئاسيّة وتشريعيّة وبلديّة نزيهة وديمقراطيّة واحترام خيارات الشعب والأخذ بعين الاعتبار تضحيات ومطالب الفئات الشعبيّة التي أنجزت الانتفاضة.
- يدعو كلّ المثقفين وأعضاء اتّحاد الكتّاب التّونسيين إلى التّفاعل الايجابيّ مع طموحات الشعب ومطالبه العادلة وصيانة مكاسب الانتفاضة .
- يطالب بإقرار عفو تشريعيّ عام وتحرير كامل للإعلام .
- يدعو التّونسيين إلى مزيد تكوين لجان شعبيّة لصيانة مكتسبات المجموعة الوطنيّة والممتلكات الخاصّة .
- يناشد الجمعيات الحقوقيّة الدوليّة بالوقوف إلى جانب الشّعب التونسي بما يمكّنه من استرجاع ثرواته المنهوبة ومحاكمة مجرمي النظام البائد.
- يدعـو كافـة المواطنـين أن يعدوا قائمة اسـمية في كل الذين يعرفون عنهم سـرقات وإثـراء بغير وجه حق لينيروا بها القضاء النزيه الذي سيتولى التحقيق في الأمر.
- يعلن عن رغبة في تطهير اتحاد الكتاب التونسـيين من الأوسـاخ اللا بشـرية التي علقت به وخانت الكلمة النابضة بنبض الأمة.
- يساند الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين في دعوتها إلى الحفاظ على مكتسبات ثورة الشعب وصرخته التي لا تقبل أي نوع من المسـاومة والاسـتغلال من فئة اللصـوص بجميع أنواعهم، لصـوص المال ولصـوص الفكر.

عاشت الكلمة الصادقة الحرة

عاشت الكرامة التونسية الأبية

عاشت نضالات تونسنا الغالية .

والخزي للخونة والمنحنين واللحاسين والمتاجرين بدماء الشعب

إتّحاد الكتّاب التونسيين
فرع سيدي بوزيد

Union des Ecrivains Tunisiens
Succursale Sidi Bouzid

سيدي بوزيد 2011/01/20

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسيدي بوزيد

نحن هيئة فرع إتحاد الكتاب التونسيين بسيدي بوزيد نعلن تأييدنا لمطالب جماهير شعبنا وثورته المباركة التي انطلقت شرارتها من وسط مدينة سيدي بوزيد- وليس من النرجسية أن نقول أنه من ربوعنا ومضارب أهلنا انطلقت الثورة المسلحة ضد الإستعمار الفرنسي .- وللتذكر وليس للتشفي- استحوذ المقربون والمهادنون لهذا الإستعمار والذي مازال يقوم بدور الملقن على المسرحية السياسية ومن تلك الأدوار وصف الثوار "بالفلاقة".

إذن من منطلق دورنا ككتّاب نحذّر من الذين كانوا رؤوسا وأيادي وآذانا تطل وتسمع وتتنصت على الكتاب. لا أن نسكت عنهم بل نفضحهم ونحترز منهم وهم معلومون لكل الكتاب وهم قد يكونون بهرجهم عوامل ردّة والعودة إلى الماضي ولو أنهم ادعوا خلاف ذلك.

الشعب أراد الحياة فلتعلى كلمته فوق كل نشاز.

عن هيئة فرع اتحاد الكتاب بسيدي بوزيد

العنوان: المدخل الشرقي لنهج حسين بوزيان 9100 سيدي بوزيد - الهاتف: 98417091 الفاكس: 76633061
الحساب الجاري ببنك الجنوب رقم 93 0224044002592 806 04

بيان من فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسليانة

تضامنا منه مع فجر الثورة الشعبيه التونسيه المجيدة الفريدة من نوعها في عالمنا هذا.

1)يترحم على شهداء ثورة الشعب التونسي الأبي.
2)يحيي شباب شعب تونس في مسيرته الثورية.
3)يشيد و يبارك هذه المسيرة النيرة المحفوفة بكل خبرة و دراية و حسابات دقيقة.
4)يحيي شعبنا العظيم الذي ساند ثورته بتكوين لجان شعبية مدنية تتصدى لعصابات مجرمة زرعها نظام بائد ضد أمن شعبه.
5)يحيي وقوف و سلوك جيشنا التونسي مع مسيرة الثورة.
6)يتمنى من جيشنا أن يكون سورا لثورتنا و حماية لوطننا من المتربصين بنا داخليا و خارجيا.
7)يطالب شعبنا المزيد من الوقوف مع أهداف الثورة التونسية.
8)يطالب أيضا القوى السياسية و الحزبية و المنظمات الاجتماعية و النخب الفكرية مساعدة الثورة بالنصائح لا بالوصاية و الالتفاف عليها.
9)يقول لهؤلاء القوى الداخلية و الخارجية معا إطمئنوا على مسيرة هذه الثورة الواعية و الناضجة و المدركة لكل ماجد و ما يجد.
10) على الحكومة الوطنية الوقتية أن تستمع لهذه النداءات المنطلقة من الشعب و تستجيب لمطالبهم الثورية بإعتبار أن الشعب هو المصدر الأساسي للدستور و الحكم .و لعل هذا كان ختم كلمة الوزير الأول: " الحكم للشعب"
11) يدعو إلى تشكيل حكومة إنقاذ وطني من الذين قاموا بهذه الثورة و بمساعدة القوى السياسية و الفكرية النزيهة.
12) يطالب بلجان الإصلاح السياسي و بمتابعة التجاوزات و تقصي الرشاوي و الفساد و الظلم.
13) كما يطالب أيضا بنظام برلماني لا رئاسي لتحقيق مبادئ : الحرية و العدل و المساواة و الدمقراطية و الكرامة و حقوق الإنسان ووحدة شعوب المغرب العربي الكبير.
14) علينا كمثقفين و كتاب و مبدعين أن نجسم تلك المطالب قولا و فعلا تجاه ثورتنا الشعبية التونسية المجيدة ، لتكون بحق قدوة حسنة لكامل شعوب الأرض.

قال شاعرنا المرحوم أبو القاسم الشابي:
إذا الشعب يوم أراد الحياة*** فلا بد أن يستجيب القدر
ومن لم يعانقه شوق الحياة *** تبخر في جواها و اندثر
عاشت إرادة الشعب التونسي*** العظيم و المجد كل المجد للشهداء

رئيس الفرع عبد الكريم العطياوي

فرع إتحاد الكتاب التونسيين بسليانة

عناوين ومصادر

مجلات ثقافية تونسية

رحاب المعرفة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين،
أسسها د. جعفر ماجد
العنوان: 70 ساحة باب سويقة 1006 تونس
الهاتف: 70.101.500
الفاكس: 71.752.679

معالم ومواقع

دورية تصدر عن الجمعية التونسية «المعالم والمواقع»
العنوان 46 - 52 مكتبة مدينة تونس، نهج الباشا 1006 تونس
الهاتف: 71.571.520
الفاكس: 71.260.644

قصص

دورية تصدر كل ثلاثة أشهر، تصدر عن نادي القصة النادي الثقافي «أبو القاسم الشابي»
العنوان: 77 مكرر، شارع بلفي - الوردية - تونس 1009
الهاتف: 71.490.935
الفاكس: 71.485.189
البريد الالكروني:
kissas@email.ati.tn

الحياة الثقافية

مجلة شهرية تعنى بالفكر والابداع
أسسها محمود المسعدي عام 1975
تصدر عن وزارة الثقافة والمحافظة على التراث
العنوان: 59 شارع 9 أفريل - تونس
الهاتف: 71.561.921
الفاكس: 71.260.443
البريد الالكتروني:
cabinet4.culture@email.ati.tn

الهداية

مجلة ثقافية إسلامية، تصدر عن المجلس الاسلامي الاعلى للجمهورية التونسية
العنوان: 103 شارع الحرية 1002 تونس
الهاتف: 71.894.053
الفاكس: 71.894.011

دراسات اندلسية

مجلة علمية محكمة
في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الاسلامية
أسسها د. جمعة شيخة
الهاتف: 71.585.616
الفاكس: 71.871.666

مؤسسات ثقافية تونسية

بيت الحكمة

المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون
العنوان: 25 شارع الجمهورية قرطاج حنبعل - 2016 تونس
الهاتف: 71.731.824 / 71.277.275
الفاكس: 71.731.204
البريد الالكتروني:
baitelhekma@email.ati.tn
موقع الواب:
www.baitelhekma.nat.tn

مركز التوثيق

العنوان: شارع 7 نوفمبر - المنزه 1004 ص ب 603 أريانة
الهاتف: 71.704.002
الفاكس: 71.704.928
موقع الواب:
www.cdn.tn

برلين في 25 فبراير 2011

بيان اتحاد الكتّاب الألمان

إلى إفريقيا أو: لغة الحرية
الهيئة المديرة لاتحاد الكتّاب الألمان
تطالب باتخاذ إجراءات ملموسة لدعم حركات التحرر

نظرا لما يجري من ملاحقة للمثقفين ومن تهديدات ضد الصحفيين التي لا حصر لها ومن استخدام الأسحلة ضد المتظاهرين فإن اتحاد الكتّاب الألمان(di.ver in VS) يدعو الحكومة لأخذ إجراءات ملموسة على المستوى العالمي (ولا تكتفي بالكلام فقط) ضد العنف الغاشم من قبل الشرطة والعسكر والمرتزقة والمليشيات في البلدان العربية الإفريقية. إن الكتاب الألمان يقفون مع زملائهم وزميلاتهم هناك الذين يناضلون من أجل الحرية.

«الكتّاب التونسيون وكل المثقفين في شمال إفريقيا فخورون بما يحدث في بلادهم- بالحركة الثورية- التي يشاركون فيها كل حسب إمكانياته وطريقته». كما صرّح بذلك صلاح الدين الحمادي عضو الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين»، وأضاف «الكتاب في تونس وشمال إفريقيا يتطلعون إلى الدعم العالمي من زملائهم، ويسعون إلى العمل والتعاون معهم في المستقبل، تعاون غير مشروط بأية إملاءات.»

«نحن الألمان بالتحديد كان علينا في تاريخنا أن نتعلم بألم حرية التعبير التي لا يمكن فصلها عن الحرية والكرامة»، يقول رئيس اتحاد الكتّاب الألمان إمري توروك، ويضيف «نتمنى للحركات الديمقراطية في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين وجيبوتي وغيرها من الدول العربية كل النجاح»

إفريقيا قارة التنوّع الثقافي، ليس فقط منذ" مشروع إفريقيا" في عام 2007 الذي يدعمه اتحاد الكتّاب الألمان ومؤسسة فريديش بورديكة للنهوض الفني في إفريقيا من خلال القراءات والنقاشات واللقاءات المتبادلة. هذا الحوار بين الثقافات مستمرّ وسيصبح أكثر اتساعا وعمقا.

في هذه الأيام من الاضطراب السياسي في العالم اعربي يزداد دعم الكتاب في كلّ ألمانيا لزملائهم.

إفريقيا تتحدث لغات كثيرة: في بلدان عديدة وبعض القبائل لها لغتها الخاصة. أما لغة الحريّة التي تتردّد الآن في العديد من مناطق شمال إفريقيا فهي لا تعرف حدودا. إنها لغة العالم المستقبلية.

VS | VERBAND DEUTSCHER SCHRIFTSTELLER in verdi

Medieninformation

Berlin, 25. Februar 2011

Für Afrika. Oder: die Sprache der Freiheit

VS fordert
konkrete Taten zur Unterstützung der Befreiungsbewegungen

Angesichts der Verfolgung von Intellektuellen, angesichts massiver Drohungen gegen Journalisten, angesichts des Einsatzes von Waffen gegen Demonstranten fordert der Verband deutscher Schriftsteller (VS in ver.di) nicht nur Worte, sondern konkrete Taten von der Regierung auf internationaler Ebene gegen die rohe Gewalt von Polizei und Militär, Söldnern und Milizen in den betroffenen arabischen und afrikanischen Ländern. Sie wissen sich einig mit ihren dort für die Freiheit kämpfenden Kolleginnen und Kollegen.

«Die tunesischen Schriftsteller und alle Intellektuellen Nordafrikas sind stolz auf das, was in ihren Ländern geschieht – auf die revolutionäre Bewegung, an der 10 sie alle teilhaben, jeder nach seinen Möglichkeiten, jeder in seiner Weise», so Slaheddine Lahmadi, Vorstandsmitglied des tunesischen Schriftstellerverbandes. «Die Autoren in Tunesien und Nordafrika bauen auf die internationale Unterstützung ihrer Kollegen. Und sie bieten ihnen eine künftige Zusammenarbeit an: phantasievoll und frei.»

«Die Freiheit des Wortes», so der VS-Vorsitzende Imre Török, haben gerade wir Deutschen in unserer Geschichte leidvoll lernen müssen.

Sie ist untrennbar von der Freiheit und Würde der Menschen. Wir wünschen den Demokratiebewegungen in Tunesien, Ägypten, Libyen, Jemen, Bahrain, Dschibuti und anderen arabischen Ländern viel Erfolg.

Afrika ist ein Kontinent kultureller Vielfalt. Nicht erst seit dem «Afrika-Projekt» im Jahr 2007 unterstützen der VS und der Friedrich-Bödecker-Kreis den künstlerischen Aufbruch in Afrika u. a. durch Lesungen, Gesprächen und gegenseitigen Begegnungen. Dieser interkulturelle Dialog dauert an, wird breiter und tiefer.

Um so mehr findet in diesen Tagen der politische Aufbruch in 25 der Arabischen Welt die Unterstützung der Autoren in ganz Deutschland.

Afrika spricht viele Sprachen: einige in mehreren Ländern, manche nur in einzelnen Stämmen. Die Sprache der Freiheit, die jetzt vielerorts im Norden Afrikas erklingt, kennt keine Grenzen. Sie ist die Weltsprache der Zukunft.

Für Rückfragen und Informationen wenden Sie sich bitte an:
Olaf Trunschke, Tel.: +49.30.63926385, vs@verdi.de Heinrich Bleicher-Nagelsmann, Tel.; +49.30.69562327, vs@verdi.de

ver di
VS – Verband deutscher Schriftsteller in ver.di
Paula-Thiede-Ufer 10
D 10179 Berlin
TEL +49 (30) 6956-2327
FAX +49 (30) 6956-3656
e-Mail vs@verdi.de
http://vs.verdi.de
Konto
SEB AG Bank Berlin
BLZ 10010111
Konto 1619846500

R:\07_Bereich_Kunst\FG Literatur_VS\Presse\Pressemeldungen\2011\PM_110225_Afrika.docx

بحوث ودراسات

"أحبّك بأتمّ معناك" للحبيب الهمامي: بوح العاشق أو التوق إلى مزيد من العشق

بقلم: د. مصطفى الكيلاني

1- نور العزلة: ما به تكون الذات لوحدها.

حينما يصدّر شاعر ديوانه بقولتين الأولى لمحمود درويش (على هذه الأرض ما يستحقّ الحياة) والثانية لسميح القاسم (نحبّها ابنة الكلب الحياة) إضافة إلى العنوان الرئيسي (أحبّك بأتمّ معناك) ندرك منذ لحظة البدء أنّ الحبيب الهمامي عاشق للحياة عشقه للكتابة، بل إنّ هذا العشق يصل إلى مستوى فيض الحال النزقة التي آثرت اللّذائذ والآلام وقاربت التخوم القصيّة لكلّ من الحياة والموت الماثل فيها.

فالخواء الذي كان لم يعد خواءً منذ ذلك الحين الفارق بين زمنين: "هذه الليلة" تعلن بها الذات الشاعرة ازدحامها "بالبحر والخمر والأشواق" والتعري الكامل استعدادا "لخواء" جديد يكون به الانفتاح على "أنوار المولى":

" وقد جئت مجلسكم
عاريا
حافيا
خاويا
إلاّ من أنوار المولى" (1)

وكأنّنا بهذا "التعرّي" الحادث نشهد ميلادا جديدا أو "انبلاج" ليلة لا كغيرها من الليالي، يحدث اشتعال الروح وممارسة طقوس الانتظار / انتظارها بمجمل القوى الجسديّة ممثلة في رموز الطبيعة بمختلف عناصرها.

كذا التعرّي هو حركة في الدّاخل، نَظَر في مرآة الذات لوجودها الراهن أو الحادث، ازدواج فعليّ برمزيّة التعليق الحيويّ بين الذكورة والأنوثة عند الإحالة على الأصل المشترك الماثل في حاضر الإبطين حيث تنادي المِثْلين المُختلفين في وميض حالٍ مُشتركة تُعَدُّ بَدْءًا ومرجعا "بإبداع الله":

"قالت صفني
فتأمّلتها..." (2)

وإذا الازدواج المذكور الدّال على واحد يختزل صورة الذات العلويّة بأدقّ الأشياء النّابضة حياة وأدقّ الأنباض المزدحمة بعلامات الأشياء لينفتح الزمن الميقاتيّ على مطلق زمنيّ لا يتأثّث إلاّ بالصّلاة والدمع، بالعشق يفتح الرؤية / الرؤيا على مزيد من العشق حدّ مقاربة الفناء بوعي الخلود الذي لن يكون إلاّ في الروح وبالروح. وبهذا الحسّ العشقيّ حدّ إرباك الحال ينْقلب المشهد الشعريّ الموصوف إلى ما يشبه الاحتفال المأتميّ أو المأتم الاحتفالي حيث تزول الحدود بين الفرح والترح؟، أو هي الحال تُفضي إلى نقيضها أحيانا كي يتناظم في الأثناء بازدواج الظاهر الخفيّ، المظهر المضمر.

كذا "العزلة" الاضطراريّة اختيارا والاختياريّة اضطرارا تنزع البعض الكثير من السُّجُق عن "نور عبقريّ" لينشأ "الاحتراق" الجميل والسفر في الملكوت الأعلى بعيدا عن القفص الجسدانيّ بشفافية من فقد "ثِقَل" اعتدال القوى، كالجاري

في معتاد وجودنا اليومي، كي تتحقّق "الخفّة" ممثّلة في شفافية الوعي والاندفاع بأقصى اللّذة المتحقّقة وُجوداً وكتابةً أو وُجوداً بالكتابة وكتابة بالوجود ويحدث الانتشاء. وحينما تمتلئ الذات العاشقة بعُريها أو يُسفر خواؤها عن عميق الرغبة ينقدح الجمال الأنثويّ رمزاً أبعد في أداء رمزيّة الحال العاشقة بالمشترك القائم بين الحدس المستنفر والمعنى العرفانيّ مُمَثّلا في البعض من الغيب المحضر.

لذا تُمسي اللحظات العابرة في ليل الوجود مقامات عشقيّة "باللغة" تُقارب سحر العينين وحلم "الشجرة المباركة" أو ذِكْراها التي هي بعضٌ من طفولة الاسم وطفولة الانسانيّة جمعاء بمحصّل تجربة فرديّة ودلالات أنتروبولوجيّة ضاربة في القِدَم، إذْ قدْ تلتقي في "شجرة" الحبيب الهمّامي بعض الأطياف من حكاية البدايات بمكن صُوَر آدم وحوّاء وظلال المعاني الماثلة في مجمل الأساطير القديمة التي احتفت بالشجرة "كمورها" وميلاد "أدونيس" ثمّ مريم والمسيح و"ظلّ الشجرة" الربّاني في السيرة المحمديّة، على غرار ما ورد في عديد كتب التاريخ الإسلاميّ القديمة. وبهذا التوجّه العشقيّ تُمارس الذات الشاعرة ضرباً من الموت الجميل في الحياة لا يقدر عليه إلاّ الأحياء ممّن خبروا العزلة وتجريب الحرف والاقتراب من ذلك النور الساطع الذي قد ينجرّ عنه العمى الكامل لوْلا إمكان العَشَا تَهيم به الروح العاشقة لتتحرّر به من عتمة الضوء الكاذب.

فقد تعني استضاءة الداخل "الحبّ الأعلى"، استقدام تجارب المتصوّفة جميعهم، دون استثناء، بضربة قلم واحدة لتستحيل الأنا بذلك إلى ذات جامعة تختصر تاريخ الكلّ بالواحد المتعدّدة بُغية الاستمرار في ممارسة طقوسها الخاصّة، كطقوس الحلاّج وابن عربيّ والنفّري

"أتباعي ملائكتي وأنا
طُفنا ألف شهر بالبيت (...)
جاهدْنا اجتهدنا
ولم يبق من زادنا المستفيض
سوى تسبيح مجهد..." (3)

وليس للذات الشاعرة بعد هذا النهج الذي اختارت السير فيه عَدَا "التنوير" بتقليب الرؤيا في الداخل وإطلاق عنان اللّغة كي تلهج بالمزيد من المحبّة عند تكثير فعل النظر الاستبطانيّ ضمن "نور العزلة"، هذه القصيدة الأمّ الوالدة المُتكثّرة بالدوران حول نواة الروح العاشقة والتمدّد عند التوسل ببعض السرد في وصف الحال الواحدة المتعددة.

2 - ثمار البحر: وَحْدي ووَحْدي الثاني وثالثنا الغائب

ولأنّ الكتابة الشعرية بهذا المنظور العشقيّ، "دوران" بالمكان في اللاّ مكان أو تحويل لأشياء المكان إلى علامات رمزيّة كيانيّة في الأساس والمرجع فقد تحولت من مدار الذات في تجريب العزلة إلى مكان أوسع من البيت، هو البحر المتخيّل في "ثمار البحر"، الجزء الثاني من مجموعة "أحبّك بأتمّ معناك" الشعريّة، كأن تستقرئ الذات الشاعرة البعض من صفحاته الأزليّة وترى فيه صورة لمعجزة أخرى":

"وغمستُ يدي في الماء
وأمسكتها نجمة البحر
لحظة أغلقت كفّي عليها
سمعت الروح تئنّ
وقلبي يهتف آهْ..." (4)

هذا المشهد هو بعض تشبيهيّ، حسَب التقريب، من صورة الخلق وعظمة الخالق، ومن صدى البدء الذي ينبثق هو الآخر من الدّخل بفيض خيالات الماء والموج والرمل وشهادة الاسم على وجود الذات الأزليّ وتولّد أحلامه التي هي بعضٌ من أحلامِ يقظة الكتابة.

هو البحر – الكتاب أو الكتاب – البحر يشهد هو الآخر على وُجود ومُوجود بالوضعيات الواصلة والفاصلة بين النوم واليقظة، بين حلم اليقظة

ويقظة الحلم، "بمراوغة الموج" حينا وتمثّل "عروس البحر" حينا آخر، تلك "الأنثى القُصوى" تدعو أباها وحلم "الصبايا الثلاث". فيفتح مدار العزلة المخصبة لجديد المعاني ومبتكرها عند الانتقال إلى "ثمار البحر" على عالم مائيّ زاخر بعلامات السُيولة وخيالاتها المتعدّدة.

كذا يتشكّل حلم اليقظة بالماء صورة لثلوث تنقسم به الذات دون فقدان نواتها الجامعة: الأنا والأنت الملازم للأنا والهو للتدليل، بضَرْب من "اللعب الجادّ" على واقع الحياة وإمكان الموت، ذلك الحدث الحاضر بالغياب أو الغياب الذي يُضحي بالزمن القادم حدوثا ينقلب به البحر إلى استعارة لـ"لُغز واضح" أو وضوح "مُلْغز" يختصر حكاية الوُجود ومآله الحتميّ:

"داخل البحر
في القارب اثنان
وحدي ومعي وحدي الثاني
وتلاعبت الريح
أغرقت القارب
ونجا ونجوتُ
ولم ينج ثالثنا الغائب" (5)

وكأنّ البحر مشيمة كبرى، تشبيه لكيان. أمّا القارب فهو الوجود، تلك الكينونة المُحَدّدة بالذات المُسَافرة المتحرّكة حَتْمًا في الوجود، ولكن بوعي خاصّ لا يكون إلاّ بالذّات، مثلما يتحدّد وجود الذّات به ضمن سياق مكانيّ وزمانيّ يُكسب الذات هويّة الكائن المختلف عن غيره من الكائنات.

وكأنّ المقام العشقيّ الأوّل بوابةٌ تنفتح بأقصى الجهد على ممارسة لعبة الترائي في الداخل بتحويل الذات إلى موضوع يُرى شعرا، كأنّ تتجاذبه ثلاثة ضمائر تقريبيّة غير متماثلة تُكسب الذات الواحدة ديناميكيّة الحركة إلتفاتاً واسْتِرْهانا واستباقاً، فيتأكّد وُجودُها الواحديّ بمدى الاقتدار على التعدّد انقساماً مشروطاً بالتموقُع وتموقُعاً مدفوعاً بالانقسام تدليلا على الوجود ذاته بفائض المعنى العرْفانيّ الذي يُحدث أثناء اشتغاله صفته البُرهانيّة الخاصّة الدالّة عليه.

وكأنّ الذات وهي تُمارس عشقها في الوجود وبالوجود تُقيم ضَرْباً من الحوار على شاكلة الإحضار والتغييب، بالصوت والصمت، بـ"التوحُّد" النسبيّ حيث يتعالق "وحدي" (وَحْد الذات) و"وحدي الثاني"، علامة الغيريّة (altérité) الدّالة على وجود الأنا "الحواريّ القادر على النظر في الداخل و"الوَحْد الثالث" الذي هو الحيّز الجامع تقريباً بين نواة الذات و"تخُومها" الدنيّة والقصيّة.

وإذا نجاة "وحدي" و"وحدي" الثاني مُقابل هلاك "ثالثنا الغائب" (البعد الآخر للذات) استعارة تقريبيّة يُعَادُ بها تشكيل علاقة التجاذُب بين الحياة والموت في الذات الواحدة التي تندفع بأقصى الجهد في درب الوجود بوعي الموت وتتمثّل الموت في صميم الحياة.

3- لُعبة الترائي أو تجاذُبات الداخل والخارج: عشق ثمّ عشق ثمّ عشق..

كذا تَبْدُو قصائد "نور العزلة" و"ثمار البحر" من مجموعة "أحبّك بأتمّ معناك" للحبيب الهمّامي بوّابة مشْرعَة صوب الداخل حيث الرغبة الجامحة في البوْح الذي يُفضي إلى مزيد من البوح عند قراءة القصائد اللاّحقة ضمن "أعراس المخطئ" و"أنثى الموسيقى" و"السلام على جرحى... كلّ يوم يلد" و"غزل مغاير"، حتّى لكأنّنا بالابتداء المذكور نشهد انبثاق حركة دورانيّة تُكسب الموصوف الشعريّ البدئي والمرجعيّ في ذات الحين وجه التكثير بمتعدّد النعوت ومختلفها، دون الخُروج عن السياق العشقيّ، بأبعادها الكونيّة تتّخذ لها البحر استعارة للانفتاح والانبساط دون انفلات الرؤية/ الرؤيا حدّ التلاشي. وكما يقرّ العاشق انتشاء عند الوصل بين الحدّ واللاّ-حدّ، بين تموقع الذات وانفتاح العالم يسعى جاهداً إلى أداء "ابتهالاته" أو "هذياناته" الشعريّة الجميلة بوَصْف البعض من "آثامه" و"أخطائه" و"خطاياه" المُبْدعة، كما يفتح لغة الشعر على أنوثة الصوت الغارق في موسيقاه بتَنصت إيقاع ما لا يُسْمع

عادةً، وهو الدافع إلى الحركة بفعليّة الروح الماثلة في كلّ الأشياء المُدركة حسّا وما هو أبعد من الحسّ، بالحدْس يفتح الحواسّ على أبعاد أخرى للاستماع تليها أبعاد وبالتيه يغامر في تكثير حال العشق عند الاستمرار في مغامرة الترائي بالنظر الجُوانيّ وتفتيح مجمل القوى الجسمانيّة على ماهو أبعد من الذاكرة ومخيال الذاكرة، بل إنّ قصائد "غزل مغاير" أشبه ما يكون بالعَوْد على البَدْء، تذكيراً بـ"نور العزلة" و"ثمار البحر" حيث الموجود والوجود يتعالقان بفعليّة الروح الماثلة بأنباضها في كلّ الأشياء، دون استثناء، الأشياء الحسيّة وغير الحسيّة، بل هو فيض يصل مَدَاه إلى الحسيّ لتغرق جميع الأشياء في سديم نورانيّ يُؤالف بضرب من الإيقاع الكونيّ بين الواحد والمتعدّد، بين المرئيّ واللاّ-مرئي، بين الحدّ واللاّ-حدّ ليشهد البعض على الكُلّ والكلّ على البعض.

كذا الكتابة الشعريّة في "أحبّك بأتمّ معناك" للحبيب الهمامي لعبة نزقة تستدلّ بها الذات الشاعرة العاشقة ومن خلالها على جلال الخالق والمخلوق معاً، إذْ أمْكن لهذا الأخير أن يحمل عديد صفات الأوّل فيُمارس هو الآخر وظيفة الخلق بالكلمة والروح والسرمديّة التي تسكنها وبازدحام اللّذائذ وتداعيات حال الاشتهاء.

فكُلّ الدلائل، هُنا، شعريّة، لا محالة. إلاّ أنّ موضوع الاستدلال عالمٌ يفيض عشقاً بشهادة الموجود وواقعيّة الوجود. لذلك يتزامن الاعتراف والابتهال وموسيقى الكلم واستنفار الحال شبه الهذيانيّة وهيجان الرغبة ما وراء الإيروسيّة ولعبة التنائي والتداني عند محاولة النقسام الذاتيّ لإدراك "وحدها" الماثل في غيريّة الأنا وأنا الغيريّة بالعشق يَدْعو باستمرار إلى عشقه الآخر دون انقطاع لتجدُّد "روح الحياة" إلى ما لا نهاية، رغم الموت المؤجّل ودلالة الانقضاء الحِسّيّ القادم.

× الهوامش:

1 -الحبيب الهمامي، "أحبّك بأتمّ معناك"، تونس: دار البراق للنشر والتوزيع، 2009، ص10-9.
2 - السابق، ص19.
3 - السابق، ص27.
4 - السابق، ص41.
5 - السابق، ص49.

الصفة والتشبيه المتخفي
مقاربة سيميائية في رواية الزلزال

بقلم: د. حسين فيلالي* (الجزائر)

تشكل اليوم السيميائية السردية اتجاها قائما برأسه يحاول ان يجد له مكانا متميزا داخل السيميائية العامة ولعل هذا المصطلح المركب (السيميائية-السردية) يحيل على علمين متكاملين هو: علم السرد وعلم السيمياء. وقد لا نضيف شيئا اذا قلنا: إن المحاولات الأولى لتأسيس السيميائية السردية ترجع الى فلاديمير بروب ودي سوسير وبيرس الذين اثمرت جهودهم مجموعة من المصطلحات والآليات والتي لا يمكن لأي باحث اليوم في السيميائية السردية ان يتجاهلها أو يقفز عليها وطبيعي ان يأتي بعد هؤلاء المؤسسين باحثون يستثمرون انجازات دي سوسير وفلاديمير بروب وغيرهما ويطوروها ويوسعوا مجال استعمالها لقد وسع غريماس على سبيل المثال مجال الدراسة البنيوية ونقلها من الحكايد العجيبة عند بروب الى السرد الروائي والقصصي. وغريماس اذ يفعل ذلك إنما يتكئ على جهوده بروب ودي سوسير وبالمسلاف وبذلك أسس ما اصطلح على تسميته في المدرسة الفرنسية بالسيميائية البنائية semiotique structurale

في دراستنا هذه سنحاول ان نجمع بين السرد والسيميائية ففي الخطوة الاولى سنقوم بفحص بعض العناصر السردية ونحدد علاقتها بمكونات العناصر الروائية الأخرى.

- **فعل الحكي**
- **السرد**
- **السارد**

إذ تشكل هذه العناصر المرتكزات الاساسية التي نستند عليها في تحليلنا لرواية الزلزال للأديب الجزائري الطاهر وطار.

وفي خطوة ثانية نحاول الاستفادة من المنهج السيميائي وذلك باستثمار بعض المفاهيم والآليات الاجرائية التي ترتكز عليها نظرية السرد عن غريماس اي سيميولوجيا الفعل وسيميولوجيا التنشيط والإيعاز

- **المشروع السردي**
- **الانجاز**
- **الايعاز**
- **الفواعل الوظائفية (1)**

يقول غريماس إنّ المسار السردي يشتمل على مجموعة من الادوار للفواعل بالقدر الذي يشتمل على وحدات (او مشاريع) سردية ومجموعة الادوار التي يقوم بها الفاعل ضمن مسار سردي معين يمكن ان نطلق عليه تسمية الفاعل الوظائفي،فهذا الفاعل الوظائفي ليس مفهوما جامدا وإنما هو مجموع الوظائف والأدوار التي يقوم بها الفاعل ضمن مسار سردي.

ونجد انفسنا هنا إزاء شكل من اشكال المراتبية النحوية فعبر كل وحدة من هذه الوحدات تتحدد هوية الفاعل الوظيفي أي أدواره ، فالفواعل النحوية تكون الوحدات السردية، كما انه يمكن حصر الادوار الوظائفية ضمن مسار سردي. اما الفواعل الوظائفية فلا يمكن حصرها إلا ضمن المسار السردي في شموليته ككل.

وبناء على هذا المعطى النظري سنتناول بنية السرد في رواية الزلزال.

سيميائية العنوان:

يدخل العنوان والرواية في علاقة تكاملية

وترابطية الاول يعلن والثاني يفسر يفصل ملفوظا مبرمجا الى درجة إعادة انتاجه أحيانا، وفي الخاتمة عنوانه لكلمة في النهاية ومفتاح نصه (2).

وعلى هذا الاساس يعتبر عنوان الرواية «الزلزال» النواة الدلالية الأصلية التي تتفجر منها الدلالات الفرعية الأخرى.

ويلاحظ قارئ رواية الزلزال ان العنوان يرتبط بالمتن ارتباط السبب بالنتيجة، إنه يمثل فعلا مفتاح النص إنه البداية الكتابية التي تظهر على واجهة الكتاب كإعلان اشهاري ومحفز للقراءة» (3).

والنهاية المتوقعة التي يرمي اليها النص، إن الزلزال يوحي بحدوث التغيير والتحول «قسنطينة» الحقيقة انتهت، أقول زلزلت زلزالها، لم يبق من اهلها احد كما كان(4)

لم يبق من الحياة السابقة الا الآثار، هدموا عالما وأقاموا اخر»(5)

هكذا تتخذ الرواية من موضوع التغيير مشروعا وبرنامجا سرديا لها.

العنوان / المتن:

إن إشارة الزلزال تحيل على ظاهرة طبيعية ارضية انفجارية والمتن الروائي يحاول تعرية فئة اجتماعية تتخذ من الارض قاعدتها الاساسية لاستمرار بقائها وهيمنتها فالزلزال من هذا المنظور فعل ايجابي يكسر ويفتت القاعدة الخلفية للإقطاع. ففعل التأميم يقع على نفس الاقطاعي موقع الزلزال الذي يدمر الكيان ويهدد الوجود «هناك مشروع خطير يهيأ في الخفاء ينتزعون الارض من اصحابها يؤممونها ..اقسم في الورق الارض على الورثاء»(6).

إن الشخصية «بولرواح» تتحرك في رواية الزلزال وفق حافز مضمر لإنجاز برنامج مضاد للزلزال/التأميم«اقسم في الورق الارض».

وإذ يعجز الأقطاعي بولرواج ويتعبه البحث عن إيجاد مساعدين افتراضيين لتحقيق مشروعه المضاد للزلزال يتحول فعل الزلزال الى احساس داخلي يحطم مناعة الذات ويقذف بها في بحر التوترات الداخلية وتفتقد الشخصية معالم الطريق وتدخل في عجز تام عن تحديد مكان تواجدها وتحديد الوجهة التي تدفع اليها «لم يعد يدري اين يوجد؟ وهل يحدث احدا ام لا؟ وهل ان الدفع يدفعه الى الامام ام الى الخلف ام يلولبه ويلولبه في موضع واحد؟»(7).

فعل الحكي:

يميز جينات جرار genette في كتابه امثلة figures ثلاث أبعاد لكل واقع قصصي:

الحكاية: histoire اي جملة الاحداث التي تدور في إطار زمني، ومكاني ما، ويتعلق بشخصيات من نسج خيال سارد تنتج لديه ردود فعل وتصرفات هي على نطاق الدراسة من مشمولات التحليل الوظائفي «(8).

فالحكاية إذن هي جملة من الافعال / الأحداث المتخيلة والفواعل / الشخصيات التي تمثل عصب المسار السردي للرواية.

والحكي يقوم به راو او رواة وفق رؤيتهم للعالم -إذا سلمنا باستقلال رؤيتهم عن رؤية الناص السارد -ويشكل فعلهم هذا لحمة ونسيج الخطاب الروائي « وليس الخطاب غير الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية «(9)

السرد: وهي العملية التي يقوم بها السارد او الحاكي (الروائي) وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ (اي الخطاب القصصي) والحكاية (اي الملفوظ القصصي) (10)

السارد / الراوي المتواري: في رواية الزلزال يتولى السارد / الراوي المتواري فعل القيام بالحكي وبث الخطاب الروائي (حاسة الشم تطغى على باقي الحواس في قسنطينة في كل خطوة وفي كل التفاتة وفي كل نفس تبرز رائحة متميزة صارخة الشخصية تقدم نفسها لأعصاب وقلب المرء

علق الشيخ بولرواج وهو يفتح باب السارة التي فرغ من مهمة ايقافها (11).

في هذه الوحدة السردية يقدم الراوي / السارد المتواري أحداث الرواية ويتحول الى باث للخطاب

الروائي ينوب عن الشخصية في عرض الاحداث ويتكلم عنها وبلسانها (حاسة الشم تطغى على باقي الحواس في قسنطينة .. علق الشيخ بولرواح).

هذا الخطاب الذي يرسله الباث الثاني، الذات الثانية للكاتب كما يسميها بوث both الى قارئ مفترض يعتمد على شفرات خاصة تعمل على تحقيق برنامج سردي يؤدي وظيفتي: التعريف والتخصيص.

الفواعل النحوية الوظائفية : الاسم / الصفة

1- التعريف:

يتولى الخطاب الروائي التعريف بالشخصية من خلال التسمية «والاسم متكلم يعلن عن الشخص الذي يحمله من خلال اسناد مكانة له وصفات»12

وإذا يأخذ الشخص اسما معناه ان يعرف ويميز في المجتمع عن باقي افراد الجماعة التي ينتمي اليها فالتسمية ميثاق اجتماعي يدخل بموجبه المسمى دائرة التعريف الذي تؤهله لاستغلال ذلك الاسم في التعاملات الخاصة مع الاشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين. وللاسم دلالة اجتماعية فلقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان ان العرب كانت تسمي ابناءها بأسماء يتوخى منها التأثير النفسي على العدو كليث، اسد وضرغام، وكانوا ايضا يسمون عبيدهم بأسماء تحمل دلالة التفاؤل كمحمود، ومسعود ومبروك..

2 - التخصيص: الصفة / الاسم:

يقدم السارد الشخصية المحورية من خلال صفة من صفاتها التي تلازمها طيلة تحركها عبر الرواية حتى ان الصفة لتطغى على الاسم وتغيبه وإذا يصبح الاسم الحقيقي مجهولا ومغيبا تتولى الصفة التسمية وتتحول الى دال مسمى ومميز للشخصية الروائية.

وفي الحالة هذه يتراجع الاسم عن وظيفته الاصلية: التسمية، ويفقد صفته العلمية والتعريفة وتصبح الصفة / الاسم تؤدي ما لم يؤديه الاسم المجهول او المتجاهل فالاسم تعريف وتسمية وتميز للذات —او للشيء- عن مثيلاتها في النوع او الجنس اما الصفة فتخصيص ووسم للذات بعلامات محسوسة ان كانت الصفة خلقية دائمة ملازمة للشخص او عارضة او انفراد بأفعال وسلوكات ان كانت الصفة مكتسبة بتكرار الفعل او التعود.

إن الصفة/الاسم «بولرواح» تجعلنا نبحث في مدلولاتها المحتملة وعلاقاتها مع شخوص الرواية وبالمكان والزمان والسرد ذلك ان الصفة اذ تغدو اسم شهرة اوكنية تتحول الى قرينة «ولكي نعلم لأي شيء تصلح اشارة قرينة فينبغي الانتقال الى مستوى اعلى (افعال الشخصيات او السرد)»فإشارة «بولرواح» التي تحل محل الاسم في الرواية قد نقرأها على مستوى الافعال على انها إحالة على ماض مثقل بالخطايا وسلوكات تنبعث منها رائحة القتل إنها تضمر التعدد والتكرار في الفعل ونقرأها من خلال السرد على أنها إشارة تضمر فعل التخفي وراء الشبيه الذي لا يمكن إدراكه إلا بقرائن سردية.

التعدد والتكرار

الأنا الساردة / الأنا الرواية :

في رواية الزلزال يتناوب الراوي/السارد مع الشخصية «بولرواح» في تقديم احداث الرواية واذ تتولى الشخصية القيام بالسرد يتحوّل فعل الحكي الى إدانة للذات وفضح وكشف للمستور من ماضي العائلة ، واعتراف بالخطيئة ففعل الإجرام يصبح من هذا المنظور وراثيا لدى العائلة ومتفقا مع رأي عالم الاجرام الايطالي لوم بروزوه الذي يرى ان المجرم يلد مجرما فلا جدوى من معالجته وبالتالي إما ان يعزل او يقتل وقد فضل الطاهر وطار عزل بولرواح في نهاية الرواية وادخله المستشفى «ارتميت عليها، انبهرت استسلمت ازورق وجهها وارتسمت اثار اصابعي في عنقها(13) (ارتسمت اصابعي على عنقك المزورق مثلما ارتسمت اصابع ابي على عنق عائشة»(14) والكاتب لا يبرر فعل القتل لدى «بولرواح» او يبحث له عن مبررات لتكييف افعاله المنجزة بإدراجها في خانة الافعال اللاإرادية وإنما يضعه في موقف/حالة نفسية ويترصد ردود افعاله» عندما رجعت في الصيف وجدت عائشة زوجتي غير موجودة ..قالوا ماتت ابوك قتلها، خنق انفاسها

في صباح الغد وجدناها ميتة...وجدنا الدم في قميصها كان عنقها ازرق كان وجهها ازرق كانت اثار الاصابع في عنقها(15).

في هذا المقطع السردي يبدأ اختيار ردود افعال الشخصية بالعودة من السفر وما تحمله هذه العودة من شوق وحنين ورغبة في لقاء الآخر /الزوجة

1/ يتم تعطيل اشباع هذه الرغبة بغياب او تغييب الزوجة (قتلها)

2/ تلقى خبر قتل الزوجة من رواة مجهولين متخفين تحت ضمير الغائب (قالوا)

3/ تحديد هوية القاتل وعلاقته بالشخصية بولرواح (الاب)

4/ سرد كيفية القتل والتركيز على جانب الفضاعة (الخنق- الدم في قميصها - عنقها المزرورق- آثار الاصابع في عنق الزوجة)

هكذا يضع الناس الشخصية في اختبار فعلي ويتحول الى محلل نفساني يغوص في نفسية الشخصية ويحفر في لاوعيها عن تفسيرات لسلوكها.

الايعاز/الانجاز:

يبدأ مشروع القتل بتلقي الايعاز بالقتل من باث يسكن لا شعور الشخصية اذ تتحول (عائشة) الزوجة المقتولة الى موعز متخف في اللاشعور يحرره الحلم ويدفعه الى الخارج ويصبح «بولرواح» موعزا له بإنجاز برنامج القتل وهو في حالة اللاوعي، ويقوم بفعله اللاإرادي، ففعل القتل يحدث تحت تأثيرات خارجة عن إرادة الفاعل / الشخصية وفي هذا المقطع السردي يتحول بولرواح من سارد الى مسرود له «خدمي يقولون أنني وأنا لا أذكر(16).

الفواعل النحوية الوظائفية:

يتم تنفيذ البرنامج السردي بطريقة تراتبية يحددها حرف العطف ثم الذي يدل في عرف النحويين على الترتيب في وقوع الحدث» فالفواعل النحوية اذا ادرجت ضمن مسار سردي فإنها كما يقون غريسمان تحتل وظيفة (امتلئ بالدكنة ثم اغلي ثم افيض بالمادة السائلة ثم اغمر ثم اعمى ثم اروح اتلمس بأصابعي» (17).

فالشخصية تبدأ بالامتلاء بمادة سائلة تنبعث من داخل الذات وتتدفق الى خارجها فتغمرها وتجعلها تتخبط فيما يشبه الغرق.

وقد استعار الكاتب اشارتين لغويتين (أفيض-أنغمر) لتقوية الاحساس بالطوفان والغرق.

والشخصية في هذه الحالة الفيضان / الغرق تكون فاعلا يرتد عليه فعله او هي ان شئنا فاعلا ومفعولا به تفيض على الآخر تغمره فتقتله، ومفعولا بها يرتد عليها الفيضان تنغمر وتعمى وتحتجب عنها الرؤية.

والأعمى يعوض فقدان بصره بتكثيف نشاط حواسه الأخرى وهو في حالته هذه يستعين في اكتشاف الاشياء بأصابعه كما يستنجد «بولرواح» الغريق في رواية الزلزال بكل ما تلتصق به اصابع يده ويظل «بولرواح» يضغط على عنق الضحية وهو يبتغي بفعله هذا الخلاص من الغرق.

فالقتل عند بولرواح إنما هو طلب للنجاة من الغرق داخل الذات التهبت النار حولي ذاب السائل في صدري..برز السائل الى الخارج غمرني تراءت حنيفة زاغ بصري، غمرتني الظلمة في الصباح وجدتها مزرورقة وفي عنقها اثار اصابع دفناها (18).

فالقتل عند بولرواح حالة مرضية تتخفى في اللاشعور تبعثها عائشة الزوجة المقتولة التي تكون بمثابة الزناد الذي يوقد نار الذكرى، والتذكر وتمارس ذكرى عائشة سلطتها القهرية على الشخصية الروائية وتوعز اليها بإنجاز فعل القتل. ونسجل هنا إشارة ذكية من الروائي تمثلت في تكسير افق انتظار المتلقي ففي حين يذهب توقع القارئ الى ان الرواية ستنتهي بانتحار الشخصية او إحالتها على السجن يتدخل الروائي بطريقة فنية ويحوّل مسار الرواية فينقذ بولرواح من الانتحار في نهاية الرواية ورغم اعترافاته بإنجاز فعل القتل لم يحل كما هو متوقع على المحاكمة وإنما احيل على المستشفى وفي ذلك رمز

وإشارة الى انتهاء زمنه وهكذا يتم عزل بولرواح عن المجتمع الذي اصبح عاجزا عن التواصل معه. ولم تكتف الشخصية بولرواح بإدانة الذات باعترافها بإنجاز فعل القتل وإنما تعدت ذلك الى فضح الاسرة وكشف اسرارها اذ يصبح الاسم / الصفة»بولرواح» دالا على الأسرة يؤرخ به لشجرة النسب العائلي (ابي آغا بولرواح، وجدي الباشا آغا بولرواح، جدي فتح الباب لفرنسا وأبي اخضع العباد لفرنسا(19).

التخفي وراء الشبيه :
القرائن السردية :

وإذا كان الاسم الصفة»بولرواح» يحيل كما رأينا – على تكرار فعل الفاعل فإن إشارة بولرواح تضمر ايضا من جهة اخرى نصا غائبا

فالذاكرة الشعبية تحتفظ للكلب بصورة خرافية صارت مثلا سائرا كأن يقال فلان له سبعد ارواح كالكلب ، والرمز الذي نستشفه من هذه الصورة هو التحذير من الشبيه المتخفي وراء الصفة/ الاسم: الاقطاعي / بولرواح.

إن القرائن السردية تؤكد ان تواصل الشخصية «بولرواح» مع المكان والزمان وشخوص الرواية تتأبر حول ثنائية التواصل / اللاتواصل وتلعب العلامة الشمية (signe olfactif) الرائحة في الكثير من الاحباب دور المرسلة في التواصل اللغوي ذلك أن العلامة الشمسية هي أيضا مهمة في بعض انماط التواصل الانساني يكون من العبث تجاوزها(20)

لقد استطاع الروائي ان يصور شخصية بولرواح وهي تتقفى اثر اقاربها التي فقدت الصلة بهم منذ سنوات لتصويره للشبيه المتخفي «علي ان اعثر على اقاربي فلم أر احدا منهم منذ الحرب تقريبا بل قبل ذلك بكثير (21).

فالشخصية تغدو من هذا المنظور اشبه بالكلب الذي يتقفى اثر صيد أرسل خلفه فإذا كان الشبيه / الكلب يعتمد على حاسة الشم في تمييز الاشياء فإن حاسة الشم عند بولرواح تطغى على باقي الحواس الأخرى «حاسة الشم تطغى على باقي الحواس في قسنطينة..»(22).

المكان / الرائحة :

إن اول لقاء لبولرواح بالمكان يتم بإشارة شمية والتعرف على المكان/ قسنطينية وتحديد هويته يتحقق بما يسمى بالتجاذب الكيمياوي chimico tactisme إن ما يجب الإشارة اليه حقا في رواية الزلزال هو توظيف الروائي للرائحة بشكل ملفت للانتباه اذ في الكثير من الأحيان تتحكم في عملية التواصل–اللاتواصل مرسلة شمّية، و(ككل العناصر الجوهرية للتواصل الاشارة، اللمس، الشم، الرائحة، تنتمي لما يشير(23).

والعلامة الشمية تعوض في الحالة هذه العلامة اللغوية «حتى الهواء امتصوه ولم يتركوا الا رائحة أباطيهم»(24).

ويصبح المكان «قسنطينية» طاردا للشخصية وتنعدم به الشروط الضرورية للحياة التي ينشدها بولرواح والشعور بامتصاص الهواء « حتى الهواء امتصوه «إنما هو في الحقيقة حالة نفسية ورمز اكثر مما هو حالة واقعية إنه اشارة فنية إلى التضمر والضيق الذي يشبه الاختناق من التواجد بالمكان» لم يتركوا الضرورية للحياة التي ينشدها بولرواح والشعور بامتصاص الهواء «حتى الهواء امتصوه «إنما هو في الحقيقة حالة نفسية ورمز اكثر مما هو حالة واقعية إنه اشارة فنية إلى التضمر والضيق الذي يشبه الاختناق من التواجد بالمكان» لم يتركوا إلا رائحة أباطيهم» (25).

والرغبة في الهروب من المكان والنفور منه وقطع الصلة معه ومع اهله نجدها تتكرر في العديد من المقاطع السردية «الروائح قوية رائحة التعفن تقطع اوصال قلب المرء «،» بينما اقتحمت انفه رائحة التراب منبعثة من اجسامهم ..» (26)

× استاذ السيميائية السردية لطلبة الماجستير
–جامعة بشار- الجزائر

المصادر والمراجع

1 - الطاهر وطار: رواية الزلزال- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر-ط2
2 - سمير المرزوقي: جميل شاكر- مدخل الى نظرية القصة- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر - الدار التونسية للكتاب ط1.ب.ت
3 - مدخل الى نظرية السرد عند قريماس- المسار السردي والنموذج السردي ترجمة عبد العزيز بن عرفة – مجلة الحياة الثقافية – تونس عدد 41 / 1986 ص 189
4 - سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي - المركز الثقافي العربي
5 - رشيد بن مالك: السيميائية بين النظرية والتطبيق مخطوط رسالة دكتوراه السنة الجامعية 1994– 1995 جامعة تلمسان
6 - طرائق تحليل السرد الأدبي:تأليف جماعي – التحليل البنيوي للسرد - رولان بارت - ترجمة حسين البحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، منشورات اتحاد كتاب المغرب ط 1 / 1992
7 - برنار توسان: ماهي السيميولوجيا-ت محمد نظيف- افريقيا للنشر

الهوامش

1 - استفدنا من ترجمة عبد العزيز بن عرفة مدخل الى نظرية السرد عند غريماس-مجلة الحياة الثقافية تونس العدد 41 / 1986 ص 191
2 - رشيد بن مالك- السيميائية بين النظرية والتطبيق مخطوط رسالة دكتوراه - جامعة تلمسان 1994 / 1995 ص 162
3 - المرجع السابق ص 162
4 - الطاهر وطار – رواية الزلزال- ص 28
5 - المرجع السابق ص 39
6 - الطاهر وطار: رواية الزلزال – ص 31
7 - الطاهر وطار: رواية الزلزال –ص 33
8 - سمير المرزوقي: جميل شاكر الى نظرية القصة – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر الدار التونسية للكتاب ط1 ب.ت
9 - سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي - المركز الثقافي العربي
10 - سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل الى نظرية القصة ص 77 / 78
11 - الطاهر وطار: رواية الزلزال- الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر ط 2
12 - رشيد بن مالك: السيميائية بين النظرية والتطبيق – مخطوط رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 1994 / 1995 جامعة تلمسان
13 - الطاهر وطار: الزلزال ص178
14 - المصدر نفسه :ص 214
15 - المصدر نفسه:741
16 - المصدر نفسه :ص 183
17 - المصدر نفسه: ص 183
18 - المصدر نفسه ص 181
19 - المصدر نفسه: ص 176
20 - برنار توسان:ماهي السيميولوجيات محمد نظيف، افريقيا الشرق
21 - الطاهر وطار: رواية الزلزال ص 32
22 - المصدر نفسه: ص -23
23 - برنار توسان: المرجع السابق ص 22
24 - المصدر نفسه: ص 23
25 - المصدر نفسه: ص 22
26 - المصدر نفسه: ص 20

الشاعر الطاهر الهمّامي وأزهار الجكرندة أو «شجن الزهور الهاوية»

بقلم: حسين العوري

تمهيد:

شجن الزهور الهاوية واحدة من القصائد التي شدّتني إلى مجموعة « **اسكني يا جراح** »(1)، المجموعة قبل الأخيرة للصديق **الطاهر الهمّامي**

وسرّ انشدادي إلى هذه القصيدة أنّها تمثل - في نظري- إضافة حقيقية في منجزه الشعري. لذلك اتخذتها موضوع هذه القراءة التي أهديها له بمناسبة تكريمه هذا.

ومن عجيب الصدف أنّ **هذه القصيدة جاءت واسطة عقد النصوص المتّصلة بالقسم الذاتي** في هذه المجموعة. فلقد تقدّمتها ثلاث قصائد وتلتها ثلاث أخر، شكّل التفجّع على الأحبّة بما في ذلك الذات نواتها **الأساس**.

وإذا كان هذا التبويب أو الترتيب صدفة سعيدة يبتهج بها الدارس لما قد تفتحه أمامه من سبل القول والتأويل، فقد لا يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الشاعر. نقول هذا وفي الذهن ما لاحظنا من تناغم بين مختلف مستويات القصيدة. فلقد تضافر معمارها وبنيتاها الإيقاعية والنحوية على بناء **دلالة الهشاشة والانهيار قطب الرحى في حقل معانيها**، ممّا يعني أنّ الأمر لم يأت عفو الخاطر وإنّما كان نتيجة اختيار واع أتاه صاحب النصّ عن سابق إضمار وتصميم. ويزداد هذا الافتراض إلحاحا حين نكتشف ما بين هذه النصوص السبعة من تواشج و تراشح أسهما إسهاما بيّنا في إغناء الدلالة وتوسيع آفاق الرمز. فما مظاهر كلّ ذلك ؟ وماذا تعكس هذه القصيدة من رؤية الشاعر الإبداعية وماذا تضيف إلى تجربته الشعرية ؟

تحليل القصيد:

أول ما يلقاك من هذه القصيدة بعد اسمها (العنوان) جسدها المنتشر على بياض الورقة انتشارا مرتبكا متوتّرا له ما يبرّره في مستوى البنيتين : الإيقاعية والنحوية.

فإخراج القصيدة طباعيا تتنازعه رؤيتان : تقليدية ومستحدثة. فأمّا التقليدية فقانونها تساوي الأحجام واطراد الانتظام، وموطنها السطور :2-1-(....)-11-10-(....) 18-17-(....)--23 27-26-25-24(....) وأمّا الرؤية المستحدثة فعلى العكس من ذلك تضيق بالانتظام وتعبث بتعادل الأحجام، واستغرقت من القصيدة بقية السطور: (....) 9-8-7-6-5-4-3-(.....)-13-12 16-15-14-(....)22-21-20-19-(....) -28 31-30-29. وقد نجم عن تدافع هاتين الرؤيتين ارتباك بنية القصيدة البصرية وتوتّرها بحكم ما في ذلك التدافع من تناوب النقيضين و اختلال التناسب بينهما(11 إلى 20).

وحضر التوتّر على صعيد البنية الإيقاعية إذ اجتمع نغمان متقابلان : المُحدَث والمتقارب ،وكلاهما مقلوب الآخر: (فاعلن = علن فا = فعولن) فضلا عمّا جسّده الإخراج الطباعي من رؤيتين في الإيقاع : قديمة وجديدة.

حضر المُحدَث في المقطع الأوّل إلاّ السطر التاسع وفي الأسطر التالية من المقطع الثاني (10- 13-12-11-(...)-24-23-22-21-20-19 27-26-25). وحضر المتقارب في السطر الأخير من المقطع الأوّل (ترى...هل ترى؟) كما حضر في الأسطر التالية من المقطع الثاني 18-17-16)

وربّما أدرجنا السطرين 14و15 في إيقاع المتقارب إذا فصلناهما بالوقف عن السطر السابق. فإذا أضفنا إلى ما تقدّم تناوب رؤيتين في الإيقاع تقليدية منضبطة للقواعد وأخرى تحديثية متحلّلة من قيودها تأكّدت لدينا ظاهرة التوتّر والصراع في هذا المستوى.

ولم تخل البنية النحوية من هذا الميسم إذ كانت مضمارا للتفصيل أوالاختزال من جهة ولخرق خطّية الكتابة أواسترسالها من جهة أخرى. فالجملة تنطلق مكتنزة تامّة العناصر في إطناب (فعل + فاعل + متممات) وتنتهي شاحبة مختزلة وقد أضمر بعض مكوّناتها كما حصل في نهاية المقطع الأوّل(هل ترى ؟ حيث أضمر الفاعل والمفعول به رغم أنّ الفعل متعدّ) بل إنّ التركيب المختزل يتمزّق ، فيمسي مقاطع منفصلة مقطّعة الأوصال مقطوعة النفس كما حدث لجملة « وترى » في نهاية المقطع الثاني إذ أمست:

و...

ت...

ري... ؟

وكان لبنية القصيدة النحوية والخطّية (طبيعة التركيب و نسق الكتابة) الدور الحاسم في تشكيل معمار القصيدة. فالمرور- على صعيد التركيب- من الجملة المكتنزة بمتمّاتها إلى المختزلة لإضماراتها إلى المقطع الضامر الغريب يضعنا – في مستوى التجريد وعند البحث عن هيئة لمعمار القصيد – أمام شكل هندسي أقرب إلى المثلّث المقلوب الوضع :قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل. يصدق هذا الأمر على معمار المقطعين كليهما وبصفة أدقّ على معمار المقطع الثاني . فما دلالة كلّ ذلك؟

تقتضي الإجابة على هذا السؤال التذكير – وإن على نحو موجز- ببعض مقوّمات الرؤيا الإبداعية التي تستند إليها الكتابة الشعرية الحديثة، والقصيدة التي بين أيدينا إحدى تجلّياتها .

ولعلّ أبرز تلك المقوّمات إعادة النظر في علاقة البياض بالسواد أو بالأحرى علاقة (أديم الورقة) ب (حبر الشاعر)؛ فغدت إعادة تشكيل الفضاء تشكيلا مغايرا للمألوف وجها من وجوه التحديث الشعري هدفه خلخلة الموروث و زعزعة ما تعوّدته الأذن من إيقاع منتظم وما ألفته العين من صور في الإخراج متناظرة متساوية . وإعادة النظر هذه أملاها – على الأقلّ أمران : نزعة المجدّدين إلى التحرّر من الجاهز والماقبلي وإيمانهم العميق بضرورة التحام الشكل والمضمون التحاما لا محيد عنه في إنتاج المعنى .

وكان الشاعر الطاهر الهمّامي وما يزال واحدا من المدافعين عن هذه الرؤية . تعود أولى تنظيراته للمسألة إلى سنة 1971 حين برّر توزيع نصّه على بياض الورقة ب»غايات فنّية « منها زعزعة عادات القارئ البصرية (الفكر، فيفري 1971ص62) وأعاد تأكيد هذه الفكرة في أطروحته عن **حركة الطليعة الأدبية في تونس**(2)، فقال مستأنفا : «وحرص بعض الشعراء الجدد على توزيع وحدات النصّ الشعري مكتوبا وفقا لما يقتضيه الإيقاع(...) والإيقاع الذي يعنيه لا يضبطه ضابط لأنّ موسيقى الشعر الجديد تنبع كما قال من روح القصيدة ونوع الإحساس... ولا يوجد قالب صالح لكلّ الحالات .....ف«لكلّ شاعر موسيقاه الخاصّة » و « لكلّ قصيدة جوّها الإيقاعي الخاص (ص137).

وظلّت مسألة التفاعل بين إخراج القصيدة الطباعي والإيقاعي وبين مضمونها من القضايا النظرية التي ما انفكّت تشغله . وقد تناولها في مقال مركّز تضمّنه الجزء الثاني من كتابه **حفيف الكتابة ، فحيح القراءة**(3) ، واختار له من العناوين: **استرفاد البصري في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة** ، ومن أهمّ ما جاء فيه قوله « لم يسبق أن شهد قرن ما شهده القرن العشرون(م) من حرّية في رسم الصورة البصرية للقصيدة العربية ومن وعي تفضوي مؤدّاه **أنّ المكان النصيّ جزء لا يتجزأ من صياغة النصّ وبعد أساسي في قراءته ..**» (ص67-66)

والحقيقة أنّ القصيدة التي بين أيدينا تستجيب لهذه الرؤية استجابة تسمح بالقول إنّ ما لاحظنا من توتّر في بناها (بنى القصيدة) يمكن أن يكون

وجها من وجوه توتّر الذات التي أبدعتها وصورة من صور الصراع المحتدم في رحابها ؟ . وكيف لا يكون الأمر كذلك **والشاعر يواجه حقيقة وجودية مرعبة** عنوانها **:هشاشة الحياة وانتصار الموت** . هذه الحقيقة المريعة، قال عنها ابن عبد ربّه: «**إذا كان الموت راصدا فالطمأنينة حمق**» وقبله صاح الخيّام صيحته المرتاعة(الرمل):

وا مصابي من غد إن أقبلا ورفاتي هامة تعوي بقاع.

ولا يبدو الطاهر الهمّامي في هذه المجموعة الشعرية ، وتحديدا في قسمها الذاتي، أقل إحساسا بالفاجعة من سلفيّه وهو يواجه حقيقة الفناء. **استبدّت به فكرة الموت فسيّجت قصيدته ،ووقّعت حركاتها إخباراً وإنشاء ؟**

انفتحت القصيدة على مشهد الاضطراب والسقوط (**لم يبلبل خطاي / كالبنفسج وشّح هام الشجر / وهوى فهوى**) وانغلقت على مرأى الغرق وتلاشي الصوت (**وترى القلب مغرورقا / وترى /و...ت...ري..)**..

وبين البداية والنهاية ،استوت - من نسيج الكلام - لوحتان حزينتان صوّرتا حال الرّعب والارتباك يعتريان الكائن في حضرة الفناء. وممّا ساعد على تجسيد تلك الحال توفيق الشاعر في اختيار الرموز ، ومهارته في التقاط التفاصيل وقدرته على استنفار ما في اللغة من طاقات:

(هو ذا يتطاير بين الذرى والحفر.. لم أر أصغر عمرا ... وترى بعض نور هوى فوق بلّور سيّارة / أو على شرفة / أو على حرف نافذة / أو جدار / أو على شعر عابرة وقضى)

المشهد الذي انتقى منه الشاعر رمزه يبدو - للوهلة الأولى- مصدر بهجة غامرة وفتنة للعين والنفس معا (أزهار شجر الجكرندة ذات **اللون الأزرق البنفسجي** ، والتي تزيّن بعض شوارع العاصمة في شهر ماي) لكنّنا متى انعمنا النظر في تفاصيله ألفينا فيه ما يكون مثار همّ واغتمام (ذبول الزهور وقصر عمرها) .وبهذا التفصيل انشغل الشاعر وانشغلت عدسته فراحت ترصد مأساة هذه الكائنات اللطيفة في رحلة الانحدار والامّحاء وهي التي لم تتفتح عيونها على مباهج الحياة إلاّ منذ ساعات معدودات. بذلك نطق العنوان « **شجن الزهور الهاوية** » ، وعن ذلك شفّت الصورة الشعرية التي انشغلت بسيرورة هذه الزهور وصيرورتها :

تعقّبت حركتها المرتبكة النازلة من ذوائب الشجر الخضراء إلى إسفلت الشارع الأسود ومكنسة الريح وإن لم تكن هوجاء:

(...هذا النثار/ذوى من ذوائب خضر لصفّين من شجر يحتفي بطلوع النهار/ وعند الظهيرة يخلع تيجانه فترى/ الريح تكنسها وهي في شهقة الاحتضار) .

واغتمّت لتحوّلها الفاجع من رحيق الحياة إلى علقم الموت ، فغدت فزّاعة مرعبة:

(وتراني على كبّة من لظى / وترى الوجه مزرورقا / وترى الحلق محرورقا / وترى القلب مغرورقا).

والشاعر إذ يركّز على هذه البعد المأساوي في ذلك المشهد البهيج فلأنّه يستغلّ رمزية اللون البنفسجي(4) . فهذا اللون كما جاء - في معجم الرموز - عنوان انتقال خريفي (من الحياة إلى الموت) لا انتقال ربيعي (من الموت إلى الحياة) .فهو بهذا المعنى قرين التراجع والتدهور على خلاف ما يرتبط به اللون الأخضر من تجدّد وازهرار . من هنا كان دوره (اللون البنفسجي) مركزيا في إنتاج دلالة العبور من الحضور إلى الغياب .

هذا المشهد الاحتفالي/ الجنائزي فعل فعله في الشاعر والحمام ،فارتبك خطو الأول وامتلأ قلب الثاني شجنا . بل لقد اختار منشئ النصّ من التراكيب ما جعل كمية الشجن في قلب الحمام تبلغ منتهاها ، وما دفع حال الارتباك في خطو الشاعر إلى أقصاها حتّى لقد بدا الأمران وكأنهما استثناء تأكيدا لاستثنائية التجربة ، وكيف لا يكون الأمر كذلك و**المشهد** مفارق :**بديع / مريع** :

لم يشجّن فؤاد الحمام
كالبنفسج وشّح هام الشجر / وهوى فهوى

لم يبلبل خطـــاي
وفعله في المشاهد **رهيب ، فظيع**:
وتراني على **كبّة من لظى**
وترى الوجه **مزرورقا**
وترى الحلق محرورقا
وتري القلب مغرورقا.

فالصـور الشـعرية الجزئيـة انطلقت مـن الكلّ (**تـراني**) إلى الجـزء (الوجه- الحلـق- القلب) ومن الظاهر (الهيئة- الوجه) إلى الباطن(الحلق- القلب) ولكنّ التجسيد- جوهر الصورة الشعرية- جعل الغائب حاضـرا والباطن ملموسا فاسند إلى القلب ما يُسند عادة إلى العين في حال البكاء تفجّعا وحسـرة(**وترى القلب مغرورقا**) ،لكأن الشاعر وقـد جفّفـت **كبّـة اللظـى** مـا في عينه مـن دموع اسـتنفر قلبه فلبّى دعوته واسـتوى ناحبا في خشوع ، فغـدا عينا ثالثة لا وجود لهـا إلاّ في عالم الخيال ، خيال الشاعر .

والحقيقـة أنّ مزيّـة الشـاعر لا تقف عند هذا الحدّ من توليد المعاني وتشكيل الصور، فلها أوجه أخرى تجلّت في قدرته على استنفاره ما في اللغة من طاقـة صـوتية وما تتميّز به مـن طواعية في النحت والاشتقاق وما في مخزونها من ثراء دلالي .

فأمّا استنفار الطاقة الصوتية فجليّ في مواطن الجنـاس التـام(هـوى /هوى- ترى/ تـرى) وغير التّام(طيّر/ طيور- ذوى/ ذوائب) وتكرار الصوت المعزول كما هو حال الشين في الأسطر الأربعة الأولى من المقطع الأوّل ، والراء في الأسطر الأربعة الأخيرة منه وفي أغلب سطور المقطع الثاني.

والـراء حـرف تكرير وارتجـا ج وارتجاف وقد تواتر استعماله بعد السطر الخامس موطن السقوط المدوّي والنهايـة الفاجعه (وهـوى **فهـوى**) .هل نجـازف بالقـول إنّ العلاقة هنا سـببية ، ولا مجال للاعتبـاط في هـذا السـياق.؟ قـد لا تبـدو هـذه المجازفة إسقاطا إذا اعتبرنا حال الشاعر/ الشاهد وقد اختصـرتها صيغة **فعلل** في مطلع المقطع الأوّل (**لم يبلبـل خطـاي كالبنفسـج** .... كناية عن الاضـطراب والارتبـاك بعد الانتظام والانسـجام) وفصّـلتها صـيغة **افعوعل** في نهاية المقطع الثاني **إذ** اسـتفاد الشاعر/السـارد مـن مرونـة اللغـة وطواعيتها فنحت – على قياس الصيغة المذكورة - فعلين ينسجمان مع السـياق ، واشتقّ منهما صفتين تؤدّيـان باللون والصـوت حالَ وإحسـاسَ من يكون على كبّة مـن لظى (**مزرورقـا – محـرورقا**) لما في صـيغة افعوعل من دلالة على قـوّة المعنى. وتأتي صـفة **مغرورقا بشـحنتها** الصوتيه (**الغرغرة**) والدلالية (**الغرق**) تتويجا طبيعيا لمسار الحركة باتجاه السكون (**و...تـ...ر...**).

ولم يكـن حرص الشـاعر علـى اسـترفاد مخزون الدارجة أقل أهميّة من تشـكيله للفضـاء واسـتغلاله ما في الفصحى من طاقات . نقول ذلك ونحـن ننظر إلى الفعلين **يطير** و **يعبّ** (**لم يطيّر طيـور الكلام- لم يعبّ سـماي....**) فلـو أخذناهما بالمعنى الفصيح (طـيّر= أطلق العقال ، عبّأ = هيّأ ، جهّز) لتناقض ذلك مع السياق المشحون بالارتباك. ولكنّ هذا التناقض يزول حـين نستحضـر معناهمـا في اللهجـة الدارجـة ، ففعل طير (**طيّر النوم من عيني = طرده**) يرتبط بشـدّة التوتّر والقلق بما هو شكل من أشكال الاضطراب النفسي والحيرة الفكريـة والعجز عن الكلام،ويقـترن فعل **عبّأ** بمعنـى الامتلاء حدّ الانسـداد ... حين نستحضـر هذه المعاني يتحقّق الانسجام الدلالي وتؤدّي الصورة وظيفتها فيمتلئ الفضاء بهذا النثار (**رمز الانحلال والفناء**). **وكأن لا شـيء في الوجـود سـواه، وكأن لا شـيء يشغل الشاعر إلاّ هذه الزهور المتهاوية في موكب جنائـزي حزيـن. لا يملك الشـاعر- أمـام هـذا الموكب المأتمي- إلاّ أن يمدّ الصوت ندبة واستغاثة ... ويتحقّـق لـه ذلك، حـين يسـتعيض - في أخر المشـهد- عن تنوين المقطع الأخـير من (مزرورقا ، محرورقـا ، مغرورقا) بإشـباعه إشـباعا يجهد نفسـه فتخور قواه ويعجز عن التلفّظ المسترسل في محطّة الختام (و..ت..ر ى..) .**

وأيّا كان سرّ هذا التقطيع فهو أمارة توفيق لأنّه المصبّ الذي انتهت إليه جميع مستويات القصيدة ، فكان عنوانا للضعف والانحلال وتقطّع الأوصال. .

الخاتمة :

وماذا عساني أقول والقصيدة التي اهتممت بقراءتها انطلقت من مشهد مألوف: أزهار متساقطة من أشجار الجكرندة في شارع من شوارع المدينة . ومثل هذه الأشياء -لألفتها- لا يأبه لها السائرون ولا يلتفت إليها العابرون . ولكنّ الطاهر الهمّامي -لأنّه شاعر- اهتمّ بها واغتمّ لمآلها، **فأمست على يديه رمزا آخر لمأساة الكائن ترعبه حتمية الزوال**. والشاعر الشاعر من يغدو على يديه المألوف طريفا والجزئيات معبرا إلى الكلّيات . وكذلك بدا لي الطاهر الهمامي في هذه القصيدة .اتّخذ ممّا يعتقده العاديون شؤونا صغيرة موضوعا لفكرة في غاية الخطورة : **هشاشة منزلة الكائن في الوجود وحلمه المغدور في الخلود.**

وإذا كانت هذه الفكرة شائعة في المدوّنة الرومنسية فإنّ إضافة الطاهر الهمّامي تتمثّل في ابتداع رمز جديد يشير إليها متجاوزا المعهود من رموز الرومنسيين كا**لخريف** و**الغروب** وهما برهتان دالّتان في ذاتهما عن **فكرة الزوال**، أمّا رمز الطاهر الهمّامي (**أزهار الجكرندة**)فلا يرتبط بهذا المعنى إلاّ من خلال **اللون البنفسجي** . وهذا وجه يضاف إلى تجربته الشعرية .. وثمّة وجه آخر مداره تصادي صوته مع أصوات كثيرة منها صوت المتنبّي يرسم حيرته واضطرابه(**على قلق كأنّ الريح تحتي / على كبِة من لظى**) أو صوت أبي فراس يشكو غربته ولم يجد غير الحمامة يبثّها نجواه « **تعاليْ أقاسمْك الهموم تعاليْ**» أو صوت أمير الشعراء تردّده اسمهان: **هل تيّم البان فؤاد الحمام؟**...

إلى جانب ذلك فالقصيدة نموذج لانسجام إبداع الشاعر مع تنظيره: **تضافرت المباني مع المعاني فجسّدت ما تعانيه الذات الشقيّة بحساسيتها ووعيها من تمزّق ورهبة وهي تواجه –وحيدة- سطوة الفناء.**

هكذا بدا لي الطاهر الهمّامي وقد بلبلت فكره وأربكت خطاه أزهار الجكرندة العاشقة وقد أدركها الاحتضار ولمّا تزل في طفولة الصبا . . .

لكلّ ما تقدّم ولما وفّره لي نصّه من متعة البحث والاكتشاف ، أحيّيه مستلهما واحدة من قصائد نزار قبّاني المشهورة، فأقول:

«شؤون صغيره»

يمر بها العاديون سراعا ودون التفات
تساوي لدى عاشق الحرف لبّ الحَياة .. صميم الحياة
فحين يطلّ - ونور الحديقة مبتهج - تتفتّح في قلبه البتلاتُ..
وإما رأى النورَ يهمي على شفتيه الذبولُ، اعتراه الأفولُ..
وجفّت بشريانه النغماتُ.
ألا ..يا حبيب الحروفْ
أ يا طاهر الشعر..
أسرج خيول الرؤى والكشوفْ..
وحلّق بعيدا..
ودع للخفافيش أوهامها.. وظلام الكهوفْ.

حسين العوري أستاذ الشعر الحديث

× أنجزتُ هذا العملَ وأهديتُه إلى صديقي الشاعر **الطاهر الهمامي** بمناسبة التكريم الذي خصّته به **الأيام الشعرية بكلّية الآداب منوبة** في دورتها السادسة عشرة- دورة عكاظ 06/03/2008

(1)- صدرت المجموعة في طبعتها الأولى سنة 2004.
(2)- منشورات كلّية الآداب منّوبة ودار سحر للنشر ، 1993 .
(3)-صدر هذا الجزء في طبعته الأولى سنة 2007.
(4)-انظر الدلالات المتّصلة برمزية اللون : **البنفسجي** ، وممّا جاء بشأن هذا **اللون في معجم الرموز** نجتزئ ما يلي والتأكيد من عندنا:

Le violet , sur l’horizon du cercle vital se situe à l’opposé du vert : **il signifierait non le passage printanier de la mort à la vie c>est-à-dire l’évolution, mais le passage automnal de la vie à la mort , l’involution** ; il serait donc en quelque sorte l’autre face du vert et lié comme lui au symbolisme de la gueule, mais le violet est la gueule qui avale et éteint la lumière, tandis que le vert est la gueule qui rejette et rallume la lumière.
DICTIONNAIRE DES SYMBOLES . Edition revue et augmentée, 1982 .
ROBERT LAFFOONT/JUPITER.

ملحق: نصّ القصيدة موضوع القراءة

شجن الزهـور الهـاوية

(1)

لـم يشجَـنْ فـؤادَ الحمـامْ..
فـيَ شـوارعهـا - شهـرَ مـايْ -
لـم يبلبلْ خطـايْ
كالبنفسـج وشـح هـامَ الشجـرْ
وهـوى فهـوى
هُـوَ ذا يتطـايرُ بيـن الذرى
والحُفـرْ
يتطـاير... لـم أرَ أقصـرَ عمـرًا...
تـَرَى... هـل تـرَى؟!

(2)

لـم يطيّـر طيـورَ الكـلامْ
فـي شـوارع ترشيـشهم
لـم يعبَـئْ سمـايْ
غيـرُ هـذا النثـارِ
ذوى من ذوائب خضـرٍ لصفَيـن مـن شجـرِ
يحتفـيِ بطلـوع النهـارْ
وعنـد الظهيـرة يخلـع تيجـانَهُ فتـرى
الريـحَ تكنسهـا وهـي في شهقـة الاحتضـارْ
وإسفلتَ شـارعنا يرتجـي لـو يعجّـلُ كنّـاسُها
فالزمـانُ لغيـر النُّضـارْ
وتـرى بعضَ نـورٍ هـوى فوق بلّـور
سيّـارةٍ أو علَى شـرفةَ أو علَى حـرفِ نـأفـذةٍ
أو جـدارْ
أو علـى شعـر عـابرة وقضـى
وتـراني علـى كبّـة مـن لظـى
وتـرى الـوجـهَ مـزرورقـا
وتـرى الحلـقَ محـرورقـا
وتـرى القلـبَ مغـرورقـا
وتـرى
وتـرى... !
و...
تـ...
رى... !

الشاعر وشجرة الحياة في "وجع الأسئلة" و"كيف قطعت الطريق إليّ"

لصلاح الدين الحمادي

بقلم: أصيل الشابّي

I) العتبات :

لابدّ لمن يتابع منجز صلاح الدين الحمّادي الشعري أن يلاحظ قبل العبور إلى متن النصّ احتفال عتباته بالأسئلة فالتسمية المعقودة عليها العناوين تجذب بقوّة إلى زاوية الحيرة وتضع في الاعتبار أنّ هناك قلقا وجوديا تشهره الأسئلة بالطول والعرض، وهو قلق معلن على باب الكتاب الكبير(الغلاف) المحلّى كما ينبغي للإيقاع بالناظرين إليه هناك في الزاوية المغرية، بما يمكن أن تحويه في ما وراء السؤال الظاهر والحيرة المعلنة من عوالم، ألا يعني هذا عند الشاعر وفي سياق شعريّ بعينه إثارة لما يمكن أن يفهم أو لما يمكن أن يسمع أو لما يمكن أن يقرأ؟ ألا يعني إيحاء بأن لا مكان وفق هذا المقترب المستفزّ لنظرة مطمئنّة تقدّم نفسها جاهزة. بالمقابل هناك حسّ بفقدان حقيقة الأشياء، وإذن فلسنا نخال أنفسنا - و نحن في العتبات - إزاء كتابة تزعم لنفسها أنّها الممتلئة أو المبهرجة أو الشارحة للتفاصيل كما يقال.

II) البحث عن المعنى المخفي :

وإذا ما تجاوزنا العتبات نجد أنفسنا أمام الرحلة التي يقطعها الشاعر والتي يمكن أن نسمّيها رحلة البحث في كتابة تزعم لنفسها هنا أنّها في صدورها عن الظمأ و الفقد باحثة عن النسيان،يقول الشاعر:

أبحث عن النسيان
أبحث في أركان مدينتكم عن لغتي
وعن السرّ الكامن خلف تفشّي الأحزان(1)

إنّها ذات الشاعر تعوّل على نفسها في البحث عن المخفيّ و المتواري الكامن في الغيمة، ذات الشاعر تبحث عن حقيقة نفسها في اللّغة، في الناس، في المدينة، فلا اللّغة هي اللّغة المشتهاة، و لا الناس هم الناس، و لا المدينة هي المدينة، يقول الشاعر" مدينتكم" متبرّئا و متنصّلا إذ الحقيقة حزينة، مختومة بالنفي:

ولم أعثر فيها على الإنسان (2)

فاضحا بذلك ما يسمّى بمظهر المدينة أو قناعها المغالط، إنّها مدينة فقيرة إلى الإنسان و الإنسان فيها فقير إلى نفسه أو إلى معناه ممّا يجعل من الفقد سمة أساسيّة تتعاود من لحظة إلى أخرى، فالأشياء و الذوات موجودة، ولكنّها منزوعة الروح و سطحيّة وحزينة، هذا الشعور بالخواء في ما يتّصل بالإنسان- بوجه خاص- ليس إلاّ تعميقا لذلك الشعور المعبّر عن فقدان المعنى: فلماذا يقاتلك الحزن و الانكسار

بهذا العناد ؟ (3)

هذه اللّغة الاستعاريّة تعبّر من خلال فعل القتال الذي هو كناية عن اصطدام الشّاعر بالوجود،هذه اللّغة الاستعاريّة تعبّر من خلال أسطر كهذه :

أهلا وسهلا يا حبيبي
اللّيل مرّ من هنا خببا
يلوّح لي بمنديل الأمل
ويقول هل
طالتك أيدي اليأس (4)

عن مسرحة مواجهات الذات الشاعرة العابرة بأحلامها وآمالها، إذ تستبدل العاقل بغير العاقل كما تستبدل أبجديّة بأخرى،شاقّة بذلك المدينة إلى ما هو ثابت فيها أو إلى ما لا يقنّع فيها حتّى لا تقع في أحابيلها وزيفها،من هنا ينبو تقريب المجرّدات من مجالها الخاصّ بها إلى مجال المحسوسات بل إلى المكافئ والحاضر بحضوره الفعلي والخاصّ، وهكذا تظهر على النصّ- الظهور المعبّر عن الغلبة- النغمة الأبرز الدالّة على الصّراع مع الحزن واليأس والهزيمة والصمت الذي يكاد من فرط هوله أن يعطّل لغة الكلام التي لا بديل عنها، لذلك فإنّ الذات الشعريّة لن تجد لها في وجودها المثير وفي مسرحها من أنيس سوى الطبيعي : نادتني الأمواج باكية

تعالى يا حبيبي
و اغرق قليلا في دمي (5)

فإذا ما نظرنا إلى هذه الثنائيّة: الصمت/ الخطاب مع غير العاقل وهو أمر يلاحظ في "وجع الأسئلة" و يمتدّ إلى "كيف قطعت الطريق إليّ" تدعّمت لدينا فكرة أنّ هناك مراهنة على مساءلة الوجود ردّا على العدم الكامن في الصمت كمونا جارحا،ألا تكون هذه ترجمة محتملة لنداء الأمواج في استنطاق بكائها وعرضها دمها مطهّرا لمعاناة الشاعر،لقد تحوّلت الأحاسيس لتسكن عوضا عن الإنسان في الطبيعي المتفاعل المهدهد فاللّيل حليف للشاعر في محنته ليفضي ذلك إلى التصريح:

أنا الآن منشغل بالوجود الكثيف
عن الأغنيات البذيئة (6)

III) شجرة الحياة :

هناك مواجهة إذن أو فلنقل صراع محتدم بين الشاعر ممثلا للوجود وشجرة الحياة الشائكة كما هي في المدينة،ويأتي الشاعر على المدينة شبيها بالنبيّ محاولا اختراقها فيغرق في جرحه، ولكنّه لا ينهزم ممّا يفتح الباب واسعا لظهور تمرّد الشعري بجعل السؤال محورا للكلام أو بجعل الكلام سؤالا كبيرا آخذا في التمدّد كلّما تقدّمنا:

من أرجعني نحوك بمفاجأة نهاية
عام كان
يلملم أذيال الخيبة. . . خيبتنا؟
من قاد خطاي المثقلتين بميثاق
الحبّ إلى مرسى
قطار العاشرة مساء؟(7)

وهكذا إلى أن يفضي الأمر إلى الحيرة، والسؤال من فرط هيمنته قد يصاغ خارج بنيته الأصليّة إذ يتحقّق في التقريري:

أبحث في النسيان
عن النسيان (8)

ممّا يجعل القول ينفتح على رسالة الشاعر أو ذلك الملاّح بالنظر إلى لوحة ايفازوفسكي التي على الغلاف إذ يناور التيه بحثا عن المعنى، وهذا يعود طبعا إلى أنّ للفنّ رسالة في الحياة، على أنّ تلك الرسالة واقعة في الأصل في التساؤل والحيرة بوصفها دائرة فريدة للبحث عمّا هو مفتقد،فالكتابة كما يحدّد رولان بارط تقارب الأشياء بطريقة غير مباشرة وتختار لنفسها الدرجة المناسبة في ذلك الإطار الضامن للدهشة وتبسط الافتراضات وتعلن ألاعيبها الماكرة باطّراد،لقد راوح الشاعر بين الارتباط ببني جنسه والانفصال عنهم في لعبة شبيهة بلعبة البندول المبتعد المقترب، فالشاعر يبتعد بانشغاله عن التفاهة ويقترب ليعاين الخيبة خيبته مجموعة إلى خيبة الناس، وهو أمر في غاية الأهميّة إذ أنّ هذا التأرجح بين القرب والبعد يجعل حالة الشاعر مختلفة عن حالة الصوفيّ الخارج والمعتكف

في غلالة الصمت الموحي بالدلالة، وهذا يعني أنّ استبدال أبجديّة بأبجديّة الأولى فيها تواصل مع الناس ممّثلين للمدينة، والثانية فيها تواصل مع الظواهر الوجوديّة ليست استبدالا نهائيّا، وإنّما يندرج في جوهر المناورة الشعريّة. بما يعنيه ذلك من وعي. المزوّدة بتجربتها المميّزة المضمّخة بالدم والقلق واليأس والحزن ولكن المضمّخة. أيضا. بالحلم الكبير، حلم الهلالي هذا الهلالي الذي هو وجه آخر للملاّح في تيهه و الحزين في حزنه والنبيّ في رسالته، الداخل على المدينة لا فقط بغربته، وإنّما كذلك. من خلال الدلالة التاريخيّة بزخم معناها ممّا يظهر الذات الشاعرة أكثر عمقا بهذا الرسوخ في الأرض و الوجود.

VI) الروح الكليمة:

ليست معاناة الشاعر في حقيقة الأمر سوى تلك المعاناة التي أصابت (من مصيبة) روحه أي عمقه وجوهره، وجعلتها تائهة وثائية ومختلفة عن غيرها ذلك الاختلاف الموجع:

هيّأت نافذة
لليل أفتحها
كي تشرق الروح
ما كنت أحزن لو
خانتني امرأة
لكنّها الروح
خرجت
من غابة الكلمات مفردة (9)

لذا فإنّ الحزن هذه المفردة لا تكتسب حدّتها إلاّ بوصفها ما ينزل بالروح، ونلاحظ هذه المقارنة بين خيانة " امرأة " و إفراد " الروح " التي يعظّم فيها التنكير/ التعريف من شأن الروح بوصفها جوهرا متجاوزين العاطفة المجرّدة، وكأنّ القول هنا ينشئ تراتبيّة هي تراتبيّة قيميّة تذكّر بالأصل والفرع، فلولا الأوّل ما كان للثاني من وجود، فكأنّنا بالشعري يقدم على عمليّة تأصيل يعود ضمنها للترتيب قدسيته و تحفظ عنده المراتب والمنازل.

و هاهو السرد يعمّق القصّة من خلال صوره الموحية قاذفا بثنائيات روحيّة من قبيل نعيم/ جحيم، ثمّ هاهو الجسد، جسد الطفل تينع فيه ديدان الرفض:

و لم يرض
باليتم الباكر والجوع
وكان يرى بالقلب الدامي
هتك العرض
و غزو الأرض (10)

و إذن فهناك ذلك الإصرار على ما هو جوهري ممّا يفرز نوعا من التماهي بين الرسالة الشعريّة والرسالة الروحيّة وهو تماه يمكن فهمه بالرجوع إلى الاحتراس من الوقوع في أحابيل الأقنعة، ممّا يقرّب المدينة في صورتها من صورة مصيدة ضخمة تقضم باستمرار فرائسها وذلك عبر الغواية وعبر لغة الحرباء التي هي نفسها لغة الأقنعة المخادعة التي تريد أن تحلّ محلّ اللّغة الأصيلة، لغة الروح العاريّة من النفاق، وهذا ما سمّاه الشاعر بإشراق الروح، إنّه الأفق الذي يرجوه وينظر إليه منتظرا رغم المعاناة.

ولكنّ هذه الروح على قدر معاناتها كان إصرارها ففي نصّ (إذا...) و من داخل لغة افتراضيّة يزداد التصميم على الحياة مع كلّ عائق و يكبر، إنّه الموت في الحياة، ممّا يعني أنّ الحياة في معناها المعقول هي بالضرورة شائكة لتنتفي بذلك النظرة المثاليّة إليها أو فلنقل النظرة الرومنسيّة، فهذا لا يدخل في باب التغنّي بالحياة بقدر ما يعني التمرّد عليها أي على أحزانها وما تموج به من النفاق المقروء على الأقنعة، يقول الشاعر.

إذا واجهوك بكلّ السلاح
وهبّت عليك جميع الرياح
تجلّد
و إلاّ فإنّ الوجود عدم (11)

ثمّة فلسفة تتّضح لنا شيئا فشيئا تقود إليها اللّغة

الافتراضيّة هنا كما قادت إليها اللّغة الاستعاريّة الاستفهاميّة في سياقات أخرى يمكن تلخيصها في أنّ الإنسان موكّل بإخراج نفسه بنفسه من العدم، هذا الذي يتهدّد الحياة ويترقّب مثل وحش يريد الفرصة السانحة للانقضاض على فريسته، و كأنّنا برسالة الشاعر تعيد تعريف الوجود تعريفا شعريًا يتبدّى وفقه أشبه بشجرة ذات عقد لامتناهيّة لابدّ للإنسان من مواجهتها ليكتسب هو الآخر معناه، ممّا يعني أنّ الحياة مغامرة لابدّ للإنسان من أن يحياها إذا كان حريصا على وجوده.

V) المغزى:

لابدّ من القول.ونحن عند هذه النقطة الزمنيّة العالية ، عند نهاية عصر الطباعة. أنّ الشعر يسعى للبرهنة على جدواه، وبالتالي هو يسعى للبرهنة على وجود مغزى من وراء قراءته، فهو وإن اختلط بالوهم تبعا لما أقرّته الأدبيات القديمة والحديثة ليس وهما خالصا تماما ، كما أنّه وإن اعتمد دائما على قدرة الشعراء في مجال اللّغة وفنونها ليس مجرّد بلاغة لفظيّة خالصة، لذلك فإنّ النظر في " وجع الأسئلة " كما في " كيف قطعت الطريق إليّ " يأخذنا إلى المجال الأعمق،مجال المساءلة، وذلك حينما يسائل الوجود عامة ومن وراءه المدينة والإنسان ليضع في الاعتبار أنّ الحياة مؤرّقة على الدوام، وأنّ هذا الأرق الذي هو سليلها هو المناسبة الشعريّة الأكبر التي تثير الشاعر ويثيرها ف" الحياة لها سرّها المختفي في ثنايا السنين " و " الحياة كأفعى لها سمّها القاتل في وقته" . (12)

وإذن فليس هناك عالم يمكن الاطمئنان إليه، وهذا ما يلوّن الروح حينما يجتاحها الحزن أو القلق أو اليأس. وهذا ما يلوّن الجسد حينما يبهرجه الدم، وتتمثّل المفارقة المثيرة في أنّ المدينة ممثّلة في جسدها و الإنسان ممّثلا في جسده يشكو من هذا عطفا على قلق الروح ولكن لا أحد يقدر على رؤية ذلك إلى أن يجيء الشاعر فاضحا قناع النفاق وذلك من خلال صورة الهلالي الذي لم تزده غربته عمّا حوله إلاّ تصميما على زيادة المضيّ قدما متأرجحا بين طبيعة الأشياء وأقنعتها.

يمكن النظر في " وجع الأسئلة " و " كيف قطعت الطريق إليّ " من زوايا مختلفة، ولكن ما يثيرني فيها بناء على ما سبق الموضوع الوجودي الذي يعبّر عن العصر، وهو أمر في غاية الأهميّة إذ أنّ الشعر بطبيعته ليس بمنأى عمّا حوله، ولهذا فهو يستفهم ويسائل وكأنّه يتشبّث الأشياء و الذوات في سياق كبير هو سياق الأدب الوجودي المعاصر وما يعنيه ذلك من اعتبار الوجود مغامرة، فكانت للشاعر مغامرته الخاصّة قادها الهلالي بكلّ ما لديه من هواجس وثقل.

هوامش :

1) صلاح الدين الحمّادي . كيف قطعت الطريق إليّ . مطبعة فنّ الطباعة . ط1ص (63).
2) ن . م ص (63).
3) صلاح الدين الحمّادي . وجع الأسئلة. الدار العربيّة للكتاب . ط 1 ص 16.
4) صلاح الدين الحمّادي . كيف قطعت الطريق إليّ . ص 93.
5) صلاح الدين الحمّادي . وجع الأسئلة . ص 20.
6) صلاح الدين الحمّادي . كيف قطعت الطريق إليّ . ص 13.
7) ن . م ص 41.
8) ن . م ص 63.
9) ن . م ص 111.
10) ن . م ص 113.
11) ن . م ص 54.
12) صلاح الدين الحمّادي . وجع الأسئلة . ص 7.

المسار
مجلة اتحاد الكتاب التونسيين

نحو التأسيس لمفهوم المثقف الجمعي
دور المثقف في بناء الكيان الثقافي العربي الافريقي

بقلم: المهدي عثمان*

تصدير: تتمثل رسالة المثقف في الحفاظ على حالة من التنبه الدائم من الاستعداد الثابت لعدم ترك انصاف الحقائق او الافكار المعترف بصحتها توجه المرء في حياته. (إدوارد سعيد: تمثلات المثقف)

تمهيد

هل مازال من الممكن الحديث عن مشروع عربي في مجالات الثقافة والسياسة والاقتصاد؟

وهل من الممكن ان نجزم بوجود كيان ثقافي عربي افريقي قبل ان نتحدث عن خصوصية كل فكر داخل كل قطر؟

واذا كان لابد ان نجيب ب «نعم» على كل الاشكاليات المطروحة آنفا فإنه لابد من وضع السؤال التالي على طاولة التشريح

مالذي قدم المثقف العربي للانسان العربي؟ وما الذي قدم المثقف الافريقي للانسان الافريقي؟

وطالما ان الفكر الفلسفي يستدعي الانطلاق من الاشكال وطرح السؤال، فإن انطلاقنا منه يؤكد وعينا بأهمية الازمة التي يعيشها المثقف العربي والافريقي وهي ازمة ماانفكت تتضخم يوما بعد يوم كلما ازدادت الازمة العربية عمقا، وكلما تراكمت المشاكل الحضارية في الدول الافريقية،سياسية وثقافية واقتصادية.

I - مأزق المثقف امام تحولات الراهن:

إن اندحار الاستعمار الكولنيالي وبداية بناء الدولة الوطنية منذ خمسينات القرن الفارط مهد طريق الاعتقاد في تراكم اللبنات المساعدة على البناء والرقي،غير انه وفي الوقت الذي لم تستفد الدول العربية والافريقية من توازن الرعب اثناء وجود الكتلة الشيوعية، ممثلة في الاتحاد السوفياتي سابقا، ولم تستفد من حركة عدم الانحياز التي حاولت خلق فضاء مواز ولم تستطع الدول العربية الاستفادة من حربها مع الكيان الصهيوني، ولا من تجربة وحدة مصر مع سوريا (22 فيفري 1958) ولا حتى من سقوط الكيان العنصري في جنوب افريقيا... ثمة كثير من التجارب القطرية والفردية كان من الممكن الاستفادة منها، غير ان عوامل متعددة ومتراكمة ساهمت في تهميشها او عدم الانتباه اليها.

إننا ازاء دهشة قلق لم نستطع الانفلات من براثينه/ ها وحتى لا اخلط الاشياء عمدا او تجاهلا فإنني لا اقصد ب«الدهشة» تلك الحيرة الفلسفية التي عادة ما تكون بداية الفلسفة- كما نظر لها هيدجير- ولا ذلك «القلق» الوجودي الذي انبثق بوضوح لدى سارتر، وهو يدعو للقطيعة مع الميتافيزيقا.

إننا ازاء قلق نتاج الجهل.. نتاج الحاضر والمستقبل المتهالك والمتآكل..الا من الثبوتية واللاإطلاقية والاحادية في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية... «وبدا واضحا الى اي حد كان وهم اللحاق بالنموذج الغربي والتماهي فيه ايديولوجيا خالصا(1)».

إن المجتمع العربي الراهن لم يثبت مطلقا انه انتج غير مثقفين منعزلين، يعملون ووفق مسالك ضيقة لا تخضع لمنهج او مدرسة اي لا تنتمي (المسالك) لنسق او منهج يدعم فكرة التفاعل الثقافي العربي الافريقي.

وبالمثل تنطبق هذه الفكرة على المجتمع الافريقي الراهن ولعل اكثر المسائل المعيقة للتفاعل الثقافي العربي الافريقي هي مسألة الهوية او بالاحرى بعض عناصرها الدافعة والمؤثرة مثل عنصر الدين الذي يقرأ باعتباره اداة سيطرة او جذب او تكفير او نفور، حسب المعطيات التاريخية وتقارب الاقطار فيما بينها وتباعدها واختلاف انظمة الحكم.

فلقـد ادى التحليـل اللاتاريخـي الى وقـوع المثقفين والعلمـاء العـرب والافارقة في عملية مـن النفي المتبادل اتخذ صورا جديرة بالمراجعة ليس ابسطها تلك الادبيات الوفيرة التي لا تتحدث الا عن «نشـر» العروبة والاسـلام في افريقياهـذا ما اكده حلمي شـعراوي وهو يتحدث عن جدل الثقافات الافريقيـة العربية والحقيقة ان مثل هذا لطرح مشاع ومتداول عند المثقفين كما عند العامة.

هذا بالضبط اهم العوامل التي تجعل المثقف العربي الافريقـي على على السـواء يتحاشـى التعامـل معها او الاقتراب منهـا باعتبار حساسـيتها وخطورتها فهو حين يرفضها محاولا التقاطع قدر الامكان مع الفكر اليساري او باعتبار الدين (الدين الاسلامي تحديدا) اداة هيمنة في سـياق التنظير للدولة الاسـلامية والفكر الجهادي او في اطار الفكر التبشـيري المغلف بفكر اسـتعماري خفي. هذا من ناحية.

ومـن ناحيـة اخـرى مـن الممكـن ان يتبنـى بعض المثقفـين العـرب الخيـارات الاسـلامية الماضـوية وهو مـا يجعلهميلفـون من حيث يدرون حـول فكرة «الامارة الاسلامية» وما تحمله من منزلقات.

وانـت امـام مثل هـذا التداخل، لا يمكن ان تنتصـر لفكرة دون ان تنتهي الى منزلقات ايديولوجية او اثنية او دينية باعتبار ان الدين وفي كل الحضـارات وبحسب كل التعريفات - يعـد مقوما من مقومات الهويـة- حتى ولو اتخذ بعض العلمانيين منه موقف الرافض» وعلى اي حال فإن الكثير من الادلة توضح ان الفكرة القائلة ان هناك جماعات لها حق الانتسـاب القائم على الهويات الدينية والجنوسـية والعمريـة والاقليمية والعرقيـة وغيرها من الهويات التي «ولد» الناس بها، توفى الطاقات الاخلاقية التي تحفز التجدير والتقدم الاجتماعي والسياسي الذي يراعي مصالح الجماهير (2)

بهـذا نكون امام تقاطع «المثقـف» و«الهوية» و«الدول» الدولة بشقها العربي والافريقي، والدولة باعتبارها احد مكونات الكيان باعتبار ان الكيان مجموعة دول لنتحدث تبعـا لذلك عن كيـان عربي واخر افريقـي كما يمكن ان نتحدث عن «كيان عربي-افريقي» وهذا ما ننظر له الآن.

وفيما استطاع الاخر/الغربي القطع مع هذه المفاهيم وتحديدهـا واخراجها للعلن، حيـث امكن للمثقف- وهو احد اضلاع المثلث المذكور (مثقف/هوية/دولة) ان يدلي بدلوه لينتج كما مفاهيميا تبعا له امكن ايضاح المفروقات وتحديد التباينات بين كل من السقف والهوية والدولة.

ففيما أعادالمثقف الغربي منذ ق18 طرح العلاقة بين المثقف والسـلطة وبـين الدولة والحزب،وحـدد المفاهيم الدقيقـة للمجتمـع المدني ظل المثقف العربـي والافريقي يتخبط بـين الحزب باعتباره دولة ،وبـين الدولة ممثلة في حزب وبـين المجتمع المدني باعتبار مـا يفرزه الحزب الحاكم.

«فلـم تعد السياسـة (عند المثقف الغربـي) بمعناها الواسـع امتـدادا طبيعيـا للانسـان» الحيـوان المـدني والسياسـي» ولم تعـد مجـالا متعاليـا يرتبـط بالحيـز اللاهوتي ويخرج عن نطاق البشر»(3)

ولم تعـد السياسـة -تبعا لذلـك- الا نشـاطا مدنيا يسـمح باعتناقـه ويقبل الجـدل والنقـد والرفض كغيره من الأنشـطة الأخرى. وفقد ماهر سياسـي تلك الصبغة اللاهوتيـة المتعاليـة التي لا يمكن الاقتراب منها بسـبب فك الارتباط التاريخي بين الدولة والكنيسـة .وصار ثمة فصـل بين الدولة والحـزب والحاكم والحكومة وغيرها مـن المفاهيـم التي مازالت عند المواطـن العربي، وحتى المثقـف العربي والافريقي، يشـوبها الكثير من الغموض والقداسة لذلك ظل المثقف العربي والافريقي بين مطرقة السلطة وسـندان الواجب باعتبار دوره «في الحفاظ على حالة من التنبه الدائم » كما يقول ادوارد سعيد.

وهـذا ليس غربيا تبعا لعوامـل مختلفة ومتنوعة لعل اهمها ما خلفه الارث الاسـتعماري من فكر وايديولوجيا تبعيـة وانهزامية يمثله فيهـا قوى الرجعيـة حينا، وقوى البراغماتيـة السياسـية والاقتصـادية حينـا اخـر مما سـاعد علـى بقاء حالة المسـتعمرات كما هـي عليه اثناء الخمسينات.

إننـا بذلك لا نرتدي رداء «المؤامـرة» جزء من كل بل هـي احد الاجـزاء المهمة. وهذا ما دفـع بالفكر العربي والافريقي الى الاخذ عن الاخر المتقدم طالما ان «المغلوب مولع ابدا بالاقتـداء بالغالب» على حد تعبير ابن خلدون وبـدأ المثقف العربي والافريقي على السـواء يكرر ويلوك المصطلحات والمفاهيم التي ينتجها الاخر.

ففي الوقت الذي ينهمك فيه المثقف الغربي في الجدل

القائم حول مفهوم «العولمة» و«الحداثة» وما بعدها.. مازلال المثقف في دولنا العربية والافريقية يجادل بكل قواه حول مسائل «العلمانية» و«الديمقراطية» و«التوريث» و«قانون الأحزاب». في حين إن مثل هذه المسائل حسمت في أوروبا وأمريكا منذ جون لوكا (1632 - 1704) وروسو (1712 - 1778) الذي نظر في كتابه «العقد الاجتماعي» (1762) لضرورة بعث «نظام ديمقراطي يكون فيه الشعب صاحب السيادة» (4) حتى ان بعض المثقفين المصريين مازالوا يجادلون الان - وفي القرن الحادي والعشرين — حول مسألة عودة مصر إلى فرعوني بمعنى إنيكف الشعب المصري عن ان يكون عربيا.

ألسنا هنا أبعد ما نكون عن المطلب الاجتماعي للعالم العربي؟

أليس المثقف الافريقي الغارق في الحروب الأهلية وتجارة السلاح وصراع الاثنيات والأقليات ابعد ما يكون عن الانتباه لما آلت إليهمراحل التطور التاريخي في علاقة بالتكنولوجيا وسيطرة ميكانيزمات العولمة وعودة الاستعمار من النوافذ بعد إن خرج من الأبواب؟

أليس المثقف العربي الغارق فيالخلافات بين الأشقاء العرب واستنزاف الموارد والثروات في غير مواضعها والصراع العربي الاسرائيلي واستفحال المافيا الاقتصادية... الا يبعده هذا عن الانتباه لإصلاح الدولة والمجتمع المدني والوقوف بندية إمام الأخروهو يتحاور معه حول «التسامح» و«حوار الحضارات» و«الإرهاب» و«التثقف»...؟

إذن أليس رفع شعا «امة عربية واحدة» منذ 1943 مع مشال فعلق يعد قفزا على المطالب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عصرئذ؟

أليس انعقاد مؤتمر القمة العربي الافريقي في مارس 1979 بالقاهرة كان قفزا على الواقع العربي والافريقي على السواء رغم حضور 62دولة من الجانبين؟

هو قفز لازال يتكرر الى الآن في كل السياقات الفكرية والسياسية والاقتصادية منها. ومرد هذه الأخطاء المتكررة على الجانبين هو عدم توفر الأرضية الفكرية التي تبنى عبر التراكم المادي والتاريخي وبجهد كل الإطرافالسياسية والثقافية وسبب المصالح الآنية كوجود خطر خارجي او تمرد داخلي. وهذا ما ترك الآخر يطرح «ذاته باعتباره هو النموذج الوحيد الواقع في ساحة المعرفة والمضاهاة من اجل الاقتداء بتوالإفادة من دروس تطوره والاستعانة بما لديه من رسائل الفهم والتحقيق لكيانيه التنمية فيه» (5)

وإن كان هذا الطرح لا يعد عيبا ونحن داخل جدل تاريخي وحضاري وتثقف أنساني حتمه إلغاء الحدود ووفرة الشبكات الاتصالية وانفتاح العالم على بعضه البعض. ذلك ان النموذج الغربي ليس هو النموذج الأمثل والأوحد، ولكنه احد النماذج التي يمكن الاستفادة منها في مجالات متعددة.

ذلك إن ما قدمته أوروبا من ضحايا وحروب وجدل وصراع مع الملكية والكنيسة والإقطاع، ومرورها بحر بين كونيتين دارت رحاها على أرضهالم يحصل له شبيه في العالم العربي. لذلك أفرزت أوروباالثورة الفرنسية وما تبعها من امتداد في المفاهيم الحقوقية الداعمة لحرية الإنسانوكرامته وحقه في التعبير. واتضح منذ تلك اللحظة اي دور يمكن ان يلعبه المثقف في الحياة العامة. وهذا ما قصده المفكر الايطالي انطونيو غرامشيتحديدا وهو يتحدث عن «المثقف العضوي» الذي يطرح على نفسه تغيير المجتمع إلى ماهر أفضل. وهو عكس المثقف العادي الذي ينخرط انخراطا مبتذلا في ثقافة السائد والراهن.

أما كيفية تغيير المجتمعات إلى ماهر أفضل فيرى غرامشي ضرورة تكوين الأحزاب والتنظيمات الداعية إلى فهم الوعي الطبقي وحرية الإنسان والانخراط في هذه الأحزاب والتنظيمات.

إن المثقف وفق التصور الغرامشي هو مناضل سياسي.

على عكس ما ذكرنا، لم يصطدم الفكر العربي ولا الفكر الإفريقي مع المؤسسة الدينية ولا القبيلة ولا العسكرية ولا مع مفاهيم «الخلافة» و«الإمامة» و«القبيلة» و«الثنية» و«المقدس» من الأحداث والمواقع والتواريخ.

وكان من الممكن-عربياً مثلاً- الاستفادة من دخول طه حسين هذه البوتقة منذ سنة1927 مع كتابه «في الأدب الجاهلي».

بالمثل لم يوجه المثقف العربي والإفريقي جهده لنقد النظام الاقتصادي المتخلف في العالمين. عوالم لا زالت قائمة على وسائل إنتاج متهالكة وعلاقات إنتاج مفككة.

إن انطلاق المثقف من نقد هذه المسائل (السلطة والنص و علاقـات الإنتاج) هـو الأسـاس الموضـوعي للنهوض بالمجتمعات وإحيـاء دور المثقف الحقيقي، وذلك باتخاذه لموقف واع تجاه الإيديولوجيات السائدة. فطالما أن آليات الحكـم عربيـاً وإفريقياً تحكمها الفوضـى والمشـروعية حينـا. و التهديـدات الخارجية وفقدان السـيادة أحيانا أخـرى ...وطالما أن المؤسسـة الدينية والقبليـة والثنية، لازالـت تحكم في النتـاج الثقافي وتفرض مشـروعا بقوة السـلطة وسلطة السفسـطة..وطالما أن الأمر كذلك فإنه يمكـن أن نقـول أن المثقف العربي والإفريقي فشـلا على السـواء في طـرح البديل. وإن توفر الطـرح النظري،فإن ميكانيزمـات الرقابة والتهميش المتعمـد للمثقف وإحياء دور محاكم التفتيش،سـاعد إما على انسحاب المثقف أو إلى تأجير «عقله للمؤسسـة التي ينتمي إليها،ويعجز عن إقامة أي صلة له بالقضية إلا عبر المؤسسة الحزبية»(6) والمؤسسـة الحزبية-تبعا لذلك-تسعى ما استطاعت إلى تجميل الراهـن واعتباره الأمثل.وما سـواه فكر متطرف سلفي حينا،وأخرى ينظر لضرب الهوية الوطنية والتعامل مع جهات معادية.

إن حديث المثقف عن «السـلطة» و«النص» و«علاقات الإنتاج»هو سـؤال عن الكينونة،في خضـم هزائم عربية متتالية:خيانة وتخوين..انقسـام وحدود وأراضي لازالت محتلـة إلى الآن،ليـس أوضـحها الأرض الفلسـطينية المحتلة،هـذا عربيا.أمـا إفريقيـا فـلا زالـت «الدولـة» تعاني «من تحلل واسـع في العلاقات على مستوى الإقليم والقبيلة والعشيرة والأسرة»(7) دعمه توتر العلاقات بين المجموعات الإثنية و الدينية وفشل الأنظمة العسكرية في تحقيق وعودها بالاستقرار و التنمية الشاملة.

لهـذا وذاك لم يطـرح المثقـف العربـي ولا الإفريقي ولا حتـى مثقـف العـالم النامي عمومـاً «سـؤال كينونته بعد»(8).

وسـؤال الكينونـة هـذا ليـس أن نجـادل حـول أسـئلة:من نحـن؟ ومن هو الآخر؟ لأن مثل هذه الأسـئلة أصـبحت مفرغة من معناهـا واسـتهلكها الفكر العربي والإفريقي،وهو يناقش إشـكاليات:الأنا/الآخر وشـرق/ غـرب وشـمال/جنوب وغيرها من المفاهيم التي قضـت على طرحهـا تدخل مفاهيـم أخرى «كالعولمة» و«صـراع الحضـارات» و«حـوار الأديـان»...وإنما نقصـد بأسـئلة الكينونة هو: من يحكمنا وكيف؟ كيف نتعامل مع النص؟ وبـأي شـروط؟ وأي وسـائل إنتاج وعلاقـات إنتاج يجب توفرها؟

إنهـا أسـئلة يجـب إن تمحـور حـول «السـلطة» بتشـعيباتهاوميكانيزماتها وتداخلها: «النص» في علاقته بالمقدس والمحرم، ثم «علاقات الإنتـاج» في تداخلها مع الطبقة الحاكمة وبقية الطبقات، وفي علاقتها بمستويات الدخل والاستقرار والتنمية.

إن مثل هذه الإشكاليات على أهميتها وقع القفز عليها مـن قبل المثقـف في العالم الثالث، ليصبـح بإمكانه إن يجادل في مسائل تستدعي كما هائلا من التراكم المعرفي والحضـاري والتاريخـي لطرحهـا ، وهو مـا لا يتوفر في الساحة العربية والإفريقية.

فالمثقـف هنـا اسـتدعى ما تراكـم لـدى الآخر من معرفـة (وليس مـا تراكم عندنـا) ليبني مـا يجعل منه مثقفـا عالميـا وحاشيـا، في حـين إن المثقـف الأصـيل والحقيقـي هوالذيينطلق من هويته هـو ليراكم عليها ما شـاء من المعارف والعلوم. فمحمد عابد الجابري يؤكد أنـه «دون هويـة ممتلئة بمقوماتهـا يكـون الانفتاح على الثقافات الأخرى، خاصـة المهيمنة منها مدعاة للانزلاق نحـو الوقوع فريسـة الاسـتلاب والاحـتراق» (9) وهذا مايـؤدي الى خلق حراك وجدل وطرح بما يولد مخاضـا ثقافيا متواصـلا لا يـؤدي الى عف ولادة. ذلك أن المثقف وحسب على حرب هو الذي ينتج «الفاعل الثقافي» وليس «الإنتـاج الثقـافي» فما يهـم المثقف هو الجـدل والنقد... هو «الدهشـة» الفلسـفة... هو الحفـر الاركيولوجي كما نظـر له فوكو، وليس فعل «الـولادة» لأن فعل الولادة يعني فيمـا يعنيه انتهاء الفكر الى نقطة الاكتمال. وهذا ليس مطلوبا من المثقف بل المطلوب هو جعل المخاض متواصلا ومرتبكا ومتقلبا، حتى ينتج «السـؤال» فالسؤال هو بداية الفعل، ونهايته ليس إلا فتح الآفاق لطرح اسئلة أخرى.

وهـذا لم يتوفـر عنـد المثقـف العربـي ولا الإفريقي .فـالأول ركن معاول فكره قرب جدران المؤسسـة الدينية والسياسـية، أو ارتمـى بـين براثـن الآخر/الغربـي أو الأمريكي.

فيمـا تأثر المثقف الإفريقي (عوض ان يؤثر) بالجدل

الحاصل حول الاثنيات واللغات والديانات المتعددة، يضاف لها الفقر والصراعات القبلية والانقلابات العسكرية.

«فالثابت هنا انالمثقفين العرب في معظمهم انتجوا ممارستهم الفكرية بما يجافي دورهم المفترض: تخلوا عن وظيفة التنوير والابداع والنقد وانصرفوا عنه إلى ممارسة وظيفة التبرير والتسويغ والشرعنة: تبرير آرائهم في المؤسسة (السياسية) وتسويغ موقفها وشرعنة وجودها ووظيفتها» (10)

انطلاقا من التعامل مع شفرات السلطة والنص وعلاقات الإنتاج، يجعل من الممكن للمثقف خلق تراكم اشكاليومعرفي وتقني يمكن من فهم التداخل الحاصل بين السلطات الثلاث في الدولة الواحدة: القضائية والتشريعية والتنفيذية ومن التداخل المتعمد في المفاهيم المحددة للمجتمع المدني. وبالتالي الفصل بين حكم ملكي واخر جمهوري وثالث عسكري ورابع بوليسي وخامس يجمع بين اكثر من نموذج.

مع إضافة تداخل عناصر الدين واللغة والقبيلة والولاء لهما، لما يتعلق الأمر لأسس الدولة الافريقية. على أنه لا بد من الإشارة أن مثل هذا التداخل قد نجد مثيلا له في عض الأقطار العربية. أليس «مكونات الهوية تتمثل في الدين والتراث والقيم الإجتماعية واللغة والإنتماء» (11) وعلى صحة هذا السؤال ولكنه يحمل الكثير من المزالق.

أما فيما يتعلق «بالنص» فإن التداخل أعمق وأشد خطراً، باعتبار تغلغل النص الديني في ما هو ثقافي وسياسي وحضاري.. وباعتبار ما للدين أهمية في بناء التركيبة الاجتماعية للمجتمعات. وكيف بنيت الحضارة العربية الإسلامية خاصة على مفهوم ديني.

وبالمثل تغرق عديد الدول الإفريقية في الفوضى بسبب الاختلاط الحاصل بين الدين والقبيلة، وبين صراع الديانتين الاسلامية والمسيحية وحتى الديانات الوثنية. والذي تجلى مؤخرا في الاحداثالحاصلة في نيجيريا والصومال وغيرها (على علمنا انها ليست دائما هي الاسباب الحقيقية للصراعات والتناحر) وزادت القوى الاستعمارية في شحن تلك النعرات وتأليب هذا وذاك لإبقاء افريقيا في حالتها تلك. ولعل النموذج السوداني خير صورة يمكن ان تعكس التداخل بين الدين والسياسة والاقتصاد والتفاوت التنموي وتداخل المصالح الغربية الداعمة لفكرة «فرق تسد» مما جعل علاقات ووسائل الانتاجتحكمها الطبقية وسيطرة اقلية على مدخرات البلدان، وعدم توزيع الثروات توزيعا يخدم التنمية البشرية ويحقق الرفاه، ذلك ان الطفرة النفطية التي توفرت للمنطقة العربية وطفرة المعادن في افريقيا لم توفر الرفاه لشعوبها وحتى نكون متفائلين لم توفر الرفاه المطلوب.

أمام هذا لم يتدخل المثقف في تعديل الأوتار، واكتفى بالتنظير الفلسفي ورفع الشعارات التي عادة ما يكون تأثيرها إما آنيا وإما متجاوزة للواقع لنصبح بذلك أمام ما يسمى «الكوزموبوليتانيا» وهو الادب أو الفكر الذي يفتقد إلى الأصالة ويصلح لأن يطبق على أي مجتمع أو شعب عدا اهتمامه بمجتمعه.

II – نحو كيان عربي إفريقي:

1- دور المثقف الحقيقي

لابد ونحن نتحدث عن المثقف أن نحدد دور المثقف وإن كان تعريفه على اختلاف المقاربات يصب دوما في ما يجب ان يقوم به... معنى أدواره. وتبعا لتحديد الادوار ثمة ما ينتج عنها من فعل وردات فعل تصدر عن اطراف اخرى تتلقى نتاج المثقف اوتحاوره أو تصطدم معه خاصة وان المثقف الحقيقي لا يكف عن حشر انفه في كل ما يعنيه وما لا يعنيه كما يقول سارتر.

ونعتقد انه يمكن تلخيص ادوار المثقف في النقاط التالية:

+إحباط محاولة تغييب الماضي

+ بناء حقول من التحاور والتثاقف عوض الصراع

+ الكشف عن بؤر القمع وضرب الحريات والتنديدات بها

+ التساؤل المستمر ونقد الراهن

كل ذلك يصب في خانة تعزيز الهوية وبناء الكيان الثقافي بغرض الوقوف امام الاخر بندية وآليات دفاع تمكن من افتكاك الاعتراف وتحصيل الحقوق :كالحق في الحرية والسيادى وتقرير المصير بعيدا عن التدخل الاجنبي والوصاية ووضع اليد على مدخرات الشعوب بالقوة اوبواسطة المنظمات الدولية التي بدأت شيئا فشيئا تفقد مصداقيتها.

ومـا يهمنا الآن – وتبعا للتحولات العالمية السياسـية الثقافيـة والإقتصـادية – هو اننعـرف كيف تحتم على دول العـالم النامـي اننمـد جسـورها نحو الفضـاءات الأقرب وبناء تكتلات تدعم جهدها.

وبمـا ان الدول العربيـة- ونخص بالذكر دول شـمل إفريقيـا – من حيث تموقعها الجغـرافي وإرثها التاريخي والحضـاري اقرب مـا تكـون الى الـدول الإفريقية فإن المنطق البراغماتي على الأقل يحتم إيجاد آليات تواصـل وتقـارب وتعـاون نحو مد أرضيـة لبناء فضـاء سياسـي واقتصادي وثقافي يقف بندية أمام الفضاءات الأخرى.

إن بنـاء كيان ثقافي عربي إفريقـي يتحتم اولا الوعي بالقواسم المشـتركة بين الدولة بمفهومها العربي والدولة بمفهومهـا الإفريقي وبالتالي يتحتـم البحث عن اهداف مشتركة ايضا سياسية وثقافية واقتصادية.

وهـذا كله يفرض وجود «مثقـف جمعي» كمـا يقول بورديوعوض عن «مثقف فرد» بمعنى يتعين بناء مؤسسات واحزاب ومنظمات لها هدف البحث عن المشترك المادي والمعنوي والاهداف المشتركة الخفية والمعلنة.

2 - المثقف الجمعي والمثقف الفرد

إن «المثقـف الجمعـي» كما يقـول بورديو، هـو نقيض المثقف الفرد وهذا التناقض يعني تناقضـا في الادواروفي المفاهيـم «فالمثقف الجمعي» هو كيان بل مؤسسـة او إن شـئنا تنظيما له رؤية واضحة للمسـتقبل، بعد ان أخضع الماضـي لمشـرط النقد والغربلة، ومن ثمة قرأ الحاضـر قراءة متأنية ومتزنـة. اما المثقف الفرد فإنه مثقف يعمل بمفـرده وإن توفـرت الرؤيـة فـإن نتائجها غـير مؤكدة باعتبـار اعتمادهـا على الرؤيـة الفردية. نحـن إذن في حاجة إلى عمل جماعي/مثقف جمعي لبناء تراكم فكري بهدف مقاربة الواقع نحو مستقبل افضل.

لهـذا وذاك نحن في حاجة «الى إعادة البناء بطريقة نقديـة إعادة البناء هذه لا يمكـن ان تتم كما فكر البعض في الماضـي بواسـطة مثقف فرد كبير الشأن مفكر رفيع الشـأن حاز علـى المصـادر الفكرية بمفرده او بواسـطة ناطـق مخول باسـم جماعة او مؤسسـة تفرض الكلام نيابة عن اشـخاص بلا صـوت او نقابـة او حزب»(12) وهـذا هو المتـداول والمتعارف عليه في سـاحتينا العربية والافريقيـة. بقينـا نقدس الأفـراد وتخلينا عـن دورنا في دعمهـم ومشـاركتهم ونقدهـم ولم نطالـب غيرهـم بالانضـمام إليهـم ومراكمـة الهـم النقدي والاشـكالي نحوبناءفكر سـاهمت فيه المجموعة أو «المثقف الجمعي» كما يقول بورديو، وهذا المثقف الجمعي ليس إلا مجموعة من المثقفين الذين تشكل محصلة بحثهم او مشاركاتهم نوع التفكير بواسـطة /عبر همـوم الاغلبية وليس تفكيرا ونتاجا لفكر يدون انطلاقا من برج عاجي للمثقف.

«وهنـا يلعب المثقف الجمعي دورا لا يمكن الإسـتغناء عنه، بالمسـاعدة على خلق الشروط الإجتماعية للإنتاج الجمعي ليوتوبيات واقعية »(13)

ولمـا نتحدث عـن «الانتـاج الجمعي» كمـا نظر لذلك إدوارد سعيد إنما ننفتح على امتدادنا القومي والجغرافي والحضـاري وليس التقوقع حول المحلية والإثنية والقبلية والحزبية الضيقة.

لهذا يختلف المثقف القومي البعثيمع المثقف الناصري مـع الليبر مع الاسـلامي مع اليسـاري ليحـول دون جمع الافـكار ومراكمتهـا وخلق مقاربات تصـلح لبناء عقل عربـي حرّ ومسـتنير وهـذا ينطبـق تماما علـى المثقف الإفريقي مع إضافة خلافات اللغة والقبلية والإثنية.

والغريب في المسألة أن كل هذه التناقضات والخلافات تلتقي حـول مفاهيم «الديمقراطيـة» و«الحرية» و«حقوق الإنسـان» و«البرلمانـات» و..وغيرهـا مـن المفاهيم التي يدعـي المثقـف انها انسـانية ويجـب الامتثـال لها رغم انبعضـها صـمم كالأحذية على قياس الرجل السياسي الأوروبـي والمواطـن الأوروبـي الامريكي. أليس ممكنا انيكون للمجتمع العربي الإفريقي –ولكل دولة- مفاهيم مغايرة ومختلفة عن سواها؟؟

ألا يتضـح-مثلا- أن الديمقراطية مجرد مصـادفة تاريخية او جملة اعتراضـية قصيرة انقضى أجلها أمام أعيننا كما يسأل فرانسيس فوكوياما؟

كل هـذا ونحن نلحظ الآن ما تفعلـه وتجيزه الأنظمة الديمقراطيـة في العـراق وأفغانسـتان وفي كل الحروب التي خاضـتها باسـم الديمقراطية ايضا حتى اننا بتنا نشـك في أن مـا تفعله هذه الأنظمـة لا يبتعد كثيرا- بل أحيانا يفوق – عن ما تفعله الأنظمة النازية والفاشية.

إذن يمكن أن نشـير إلى أن المثقف العربي والافريقي

–ووفق ما يجمعها من إرث حضاري وجغرافي وتاريخي– عليهما أن ينقدا تجاربهما السابقة ونفضها من كليتها

وحقيقتها المطلقة، ونقد المشاريع القومية واليسارية والاسلاميةوالليبرالية ..وبعض ما تحمله من أثنية وقبلية وشوفينية مقيتة ابتداء من إعادة الاعتبار لدور المثقف وافتكاك الاعتراف من مجتمعه اولا ثم من السلطة ثانيا. لأن المجتمع الذي يتكلم عنه وباسمه المثقف هو الذي سيقف معه وينتصر له في وقوفه أمام السلطة بشتى اشكالها

كما أنه من المهم العودة إلى هزائمنا الحزبية والتنظيمية لدى كل مثقف وبالتالي العودة إلى هزائمنا السياسية وخياراتنا المتكررة التي بدورها أدّت إلى فشل المشاريع النهضوية.

نعود إليها بالنقد والتحليل والتفكيك لأن بقاء الكثير من الأخطاء خارج نطاق التصحيح يجعل من الممكن تكرارها ويبقى الكثيرون خارج بوتقة المحاسبة لتستوي– تبعا لذلك – قيمة المثقف والمناضل السياسي النزيه مع الخونة ومن يسمسرون في قضايا الشعوب.

يجب تبعا لهذا القول إعادة قراءة فشل مشاريع الوحدة العربية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وتكرر فشل محاولة الارتباط بين سوريا ومصر والعراق سنة 1963 وتكرر فشل التجربة بين العراق وسوريا كذلك لابد من إعادة النظر في تداعيات الحروب العربية مع اسرائيلوفشل وحدة تجربة المغرب العربي وأحداث السودان الدراماتيكية التي مهدت لتدخل قوى أجنبية المغرب العربي وأحداث السودان الدراماتيكية التي مهدت لتدخل قوى أجنبية في تفاصيلها وعدم الاستفادة من حرب لبنان سنة 1982 .

كذلك إعادة قراءة تجربة منظمة الوحدة الإفريقية التي بعثت سنة 1960 ومن المهم قراءة كل الحروب البينية والأهلية التي حصلت في القارة الإفريقية، مثل حرب الصومال مع اثيوبيا وليبيريا (1978–1977) وحرب تنزانيا مع اوغندا (79–78) وحرب السودان مع موزمبيق وبوروندي مع انغولاوغيرها من الحروب.

بحيث اكدت ارقام منظمة الامم المتحدة ان سنة1996 شهدت معاناة 14 دولة من الحروب الاهلية والصراعات من اصل 53 دولة بما يعني ان المشكلة الاساسية والمحورية لإبطاء التعاون العربي الافريقي يعود بالأساس الى مثل هذه الحروب التي ادت –مثلا– إلى مقتل اكثر من 800 شخص في المذابح التي هزت رواندا سند 1994 .

والمؤسف حقا انالمثقف الإفريقي بقيت رؤيته للمشهد الدامي رؤية روائية شعرية لا ترتقي إلى مستوى التنظير ولم يساعده المثقف العربي في ذلك ربما لأن هذا الأخير تكفيه مشاكل التنظير، ولم يساعده المثقف العربي في ذلك ربما لأن هذا الأخير تكفيه مشاكل القمع واختلال توزيع الثورات وحتى مسائل العولمة والحداثة التي أبعدته عن الواقع المعيش. وقد دعّم الإعلام (وهو حالة ثقافية) حالة التعمية وتجميل الواقع والراهن إفريقياً وعربياً.

فيما نزلت القوى الاستعمارية–بميكانيزمات متجددة–بكل قواها في ميدان المعارك لتدعم فكرة القبلية والتناحر والصراع تارةً عبر التدخل الأممي و أخرى عبر الغارات الجوية والقرصنة.مثل ما حصل للجماهيرية الليبية والصومال والسودان وعديد الدول الأخرى. بل وجدت إسرائيل منفذاً عبر تجنيد يهود الفلاشا وعقد اتفاقيات تعاون عسكري مع أثيوبيا وكينيا في ضل استقالة الدول العربية من أدوارها.

في ضل كل هذه المؤشرات،بقي المثقف العربي والإفريقي يتعامل مع الراهن والآني بخوف حينا وتملق حيناً واستقالة أحيانا كثيرة.

3 - رؤية ثقافية نحو كيان عربي إفريقي:

إن ما سبق الإشارة إليه،ليس إلا إطلالة على قراءة مبسطة للراهن العربي الإفريقي،دون أن نعرج على تفاصيل عديدة ومهمة ومؤثرة،مثل غزو العراق وتواصل التهديدات من قبل الكيان الاسرائيلي للبنان وسوريا ،ومزيد ضرب مقومات الشعب الفلسطيني إضافة للتوتر العربي الإيراني وقضية الصحراء الغربية الخ...

يبقى من المهم ان نعرج على القارة الإفريقية وعلى الدول العربية في القارة الإفريقية وضرورة تفعيل المثقف لدوره.

إنه من الضروري الإشارة إلى التقارب الحضاري والتاريخي بين الشعوب العربية والإفريقية. وقد اكدت عديد الدراسات الأنثروبولوجية هذا التوجه.

وقد دعم الرئيس السينغالي السابق صاحب جائزة نوبل ليبولدسيدارسنغور هذا المعنى بقوله ان العرب والافارقة ماهم إلا مجموعات متفرقة من الشعب الإفريقي فتكويناتهم اللغوية هي سلسلة متصلة من الشمال الى الجنوب وثقافاتهم متفاعلة ومتشابهة حول فاهيم الانسانية واللاهوتية.فالزنجي الإفريقي قد ستلهم العاطفة من الجنوب..فالإختلافات باقية وكذلك التعاون باق بين كل الافارقة.

إن هذا التفاؤل الصادر عن مثقف بحجم سنغور يجب ان يتبعه قراءة اثنوغرافية وابستيمولوجية وأنثربولوجية في اصل الشعوب وعلاقات القرابة والأصل والامتزاج ليتضح مع التفاعل العربي مثل هذه الدراسات التي سيقوم بها المثقف ضمن سياق «المثقف الجمعي» لدعم بناء الكيان الثقافي العربي الإفريقي.

هذا الكيان الذي يعدّ على ارض الواقع الجغرافي حاصل فعلا باعتبار ان 75 بالمائة من الاراضي العربية تقع في القارة الافريقية بما يوازي 60 بالمائة من الشعب العربي.

وبعملية حسابية بسيطة نعرف ان 28 بالمائة من سكان القارة السمراء هم عرب افارقة وإذا أضفنا وجود الدين الاسلامي في القارد الإفريقية ندرك ايّمعنى تلعبه كل هذه المؤثرات لدعم فكرة التلاحم العربي الافريقي.

فالمثقف العربي عليه انيعمل معاول الفكر العربي لدراسة تلثيرات تلك النسب في الراهن العربي.

رغم انالراهن اوضح انالنسب المشار اليهابقيت نسبا ولم يستفد منها عدا ما فعلته ليبيا في توجهها نحو القارة الإفريقية بعد انيئست من الفعل العربي وعدم قدرته على التجمع في كيان.

ومع «تجمع دول الساحل والصحراء الذي تأسس على أنقاض منظمة الوحدة الإفريقية التي نشأت في 1960 يكون المثقف العربي قد استشعر اهمية الكيان العربي الإفريقي واهمية التلاحم بين دول تربطها ببعضها عوامل متعددة جغرافيا وحضاريا وتاريخيا..فيما تكتلت دول اخرى – في اوروبا مثلا- دون انيجمعها مشترك واحد عدا المصالح الاقتصادية بل نذهب الى ابعد من ذلك، حين نعلم أن تسع دول إفريقية وعربية يعبرها نهر النيل بما يعني انعبوره يخدم قرابة150 مليون نسمة.

فالمثقف العربي والافريقي – وضمن سياق المثقف الجمعي – عليه الانتباه لأهمية المياه في إفريقيا وتأثير منابع الأنهاروالبحيرات ودورها في استقرار الدول في ظل الجفاف وتهديد عديد الدول بالعطش.

أليس الأحرى بالمثقف أن يبحث عن البديل والمشاريع وطرح الأفكار التنموية للتخفيف من المأزق عوض الانخراط في مصطلحات الحداثة والعولمة و«نهاية التاريخ» مصطلحات لا اعتقد انالمثقف في العالم النامي يمكن ان يضيف عليها شيئا باعتبار انها مفاهيم من صنيعة النظام الليبرالي وقوى السيطرة. وأن حداثتها هي واقعنا وراهننا. والعولمة هي ان ننتبه لهويتنا اولا «فلكي تدرك ذاتك لابد ان تكتشف الجذور المميزة التي تتعلق بأصل عائلتك واكثىمن ذلك بمجتمعاتك المحلية العريقة واللغوية والدينية وأشكال الحياة الخاصة بها، وأن تعترف بالجذور المتعلقة بالجنوسة (gender) وتنميتها »(14) .

وما نهاية التاريخ إلا تصوّر أمريكي يقضي على الآخر وعلى خصوصياته وهويته، ولا يبقى إلا على المثال الوحيد والأوحد.وهو النظام العالمي الجديد وسياسة النهب الأمريكية.

إذن يجب الانتباه إلى أن ما يجمع دول الإتحاد الأوروبي ليس ما يجمع العرب بإفريقيا.لكن مع ذلك لا يجب الإكتفاء بالعامل الجغرافي واللغوي والديني لخلق كيان ثقافي عربي إفريقي.لذلك يجب على المثقف الجماعي العمل على:

-إحباط محاولة تغييب الماضي.

-بناء حقول من التحاور والتثاقف عوض الصراع.

-الكشف عن بؤر القمع وضرب الحريات والتنديد بها.

-التساؤل المستمر ونقد الراهن.

وهي جملة من المحاور التي يجب على المثقف الاشتغال عليها حتى يستطيع-تبعا لذلك-أن يبني حقولا من المعرفة تؤدي إلى بناء كيان عربي إفريقي مشترك،أو على الأقل تهيئة الأرضية النظرية المناسبة لذلك.

أ-إحباط محاولة تغييب الماضي

إن تغييب الماضي محاولات تقودها قوى الإستعمار الجديد الدافعة لمحو هويات الشعوب خاصة منها العربية والافريقية دينا ولغة وثقافة وتراثا...

واحتضان الفكر الليبرالي بما يعنيه من تقديس الفرد وضرب الهويات وإذا كانت كل الدول العربية والافريقية هي إفراز تراكم حضاري وحضارات مرت على ربوعها واستوطنتها لذلك نفهم لماذا فشلت كل القوى الاستعمارية في محو ماضيها وإلغاء هوياتها.

مثل محاولة إحباط تغييب الماضي ليس الهدف منه تقديس القديم والبكاء على أطلال حضارات بائدة ولكن تفكيك العقل الماضويواخضاع ما يمكن الاستفادة منه لطاولة التشريح الحضارية وبالتالي فهم مدى عمق التلاحم الذي يجمع الشعب العربي بالشعب الإفريقي.

فإذا أمكن فهم المدّ الاسلاميفي إفريقيا كحلقة تاريخية ضرورية وأقصينا ما شابها من خوف وكره وصراع كردّه فعل للمواطن الإفريقي على الدين الجديد امكن بسط أرضية تفاهم مغايرة.

بالمثل إعادة التصالح مع افريقيا في ما يخص تجارة العبيد التي لم يكن العرب فيها سوى جسر عبور الى العالم الاوروبي والامريكي.

نحتاج فقط إلى قراءة متأنية لتاريخنا العربي والافريقي لفهم محاولات التشويه والاقصاءوهذا يفترض تعاونا عربيا افريقيا على مستوى مؤسساتي وبدفع من مثقفين لهم برامج واضحة هدفها دعم بناء كيان ثقافي مشترك ومحاولات إقصاء وتغييب الماضي تشمل اللغة والدين والحضارة بمعنى تغيير هاته الأسس ببدائل من عندياتهمتصب في النهاية في مصلحة تيارا الجذب إلى الوراء أو الارتماء في أحضان الآخر الذي لا تربطه بالعالم النامي عدا المصلحة والثروات. وقد تعمد قوى الاستعمار الجديد إلى التدخل المباشر للتغيير عبر أدوات الضغط والعسكرة، وقد تترك الأمر لفئات وأطراف محلية تمثلها أحسن تمثيل في تلك الأدوار.

ب- بناء حقول من التحاور والتثاقف عوض الصراع

إنّ التماس الجغرافي بل وجودنا على نفس الكتلة الجغرافية حتّم –أمام اختلاف اللغة والدين ونظم الحكم وتدخل القوى الإستعمارية – حصول خلافات وصراعات كانت بعضها مفتعلةوبدعمخارجي، مثل صراع ليبيا مع تشاد والسودان.

وإن أمكن بتوفر إرادات سياسية تجاوز خلافات ليبيا مع هذه الدول – خاصة مع إقصاء جعفر النميري وحسين حبري- إلاّ أن بعض الدول الأخرى لازالت تحكمها المصلحيةالضيقة، مثل الصراع الجزائري المغربي حول الصحراء الغربية.

وتواصل الحروب الداخلية والاقتتال على السلطة والثروة والسلاح في عديد الدول الإفريقية مثل رواندا ونيجيريا وأنغولا..

كما تواصل التدخل الاجنبي في عديد الدول على غرار دارفور والصومال وعديد المناطق الغنية بالثروات المعدنية، لهذا صار صراع الدول الإستعمارية أكثر ضراوة وشراسة بسبب تزايد مطامعها وانضمام دول اخرى لأوروبا وأمريكا مثل الصين.

مثل هذه الصراعات والحروب التي تتداخل فيها عوامل عدة، سياسية وثقافية واقتصادية.. تتمازج فيها مطامع استعمارية مع طموحات قوى داخلية ومافيات وعصابات هدفها خدمة أجندات استعمارية او مصالح قبلية او أثنية أو دينية ضيقة.

وإن كانت «بعض التناقضات الجدلية لا تقبل التسوية» كما قال إدوارد سعيد، إلا أنه من الممكن تفكيكها ومراكمةالنقاشات حولها وإعادة طرحها لتمكين المثقف من «مقاربة الحلول» حتى لا نزعم بإمكانية إيجاد الحلول.

ولقد علّمنا التاريخ أن قضايا سياسية وتاريخية ما كان من الممكن حلها مع ذلك توفرت إراداتالمثقفين ونزعوا الطابوهاتعنها ومكنوا من مساعدة السياسيين على اتخاذ القرارات الدافعة. ولعل الاتفاق الحاصل بين مصر واثيوبيا والسودان حول توزيع مياه النيل كان من أهم الاتفاقيات الحاصلة في مجال المياه. خاصة إذا علمنا أن نسبة 85 بالمائة من المياه تتجمع في أثيوبيا، وإذا علمنا ايضا مدى تداخل المصالح الأثيوبية بالإسرائيلية... غير ان اتفاقية 1929 حدت من تلك المصالح رغم الأجهزة الإسرائيلية لازالت تحاول التشويش على المصالح والتقرب العربي الإفريقي.

ومصر الآن تتسلح بهذه الاتفاقيات وبقرار محكمة العدل الدولية الصادر عام 1989 والذي يقضي بأن اتفاقية المياه شأنها شأن اتفاقية الحدود لا يجوز تعديلها وكذلك فإن معهد القانون الدولي أقر عام

1961 مبدأ عدم المساس بالحقوق التاريخية الموروثة في الموارد المائية، وأيدت المادة العاشرة من اتفاقية فينا للمعاهدات عام1978 ونصت على توارث وانتقال المعاهدات العينية والاتفاقيات الخاصة بالحدود، وفي عام 1997 أكدت محكمة العدل الدولية في حكمها هذا المفهوم عند النظر في النزاع بين المجر وسلوفاكيا حول احد المشروعات على نهر الدانوب. وهنا من الواجب التساؤل عن انعدام وجود قمم على مستوى عال للنظر في مشكلة المياه في افريقيا، وتكون هذه القمم مشتركة (عربية- افريقية) باعتبار التداخل الجغرافي والطبيعي.

ولما نقول اناتفاقية ما سبقت تدخلا استعماريا أو معاديا إنما ننبه إلى انفعل السبق يجب أن يكون حاضرا. وهذا يستدعي من المثقف العربي والإفريقي الاستعداد الدائم والحفاظ «على حالة من التنبه الدائم» كما يقول إدوارد سعيد» فيضع فكره المتوقد في خدمة القضايا الإفريقية والعربية وإيجاد الحلول للمشاكل العالقة على انه وجب التذكير أن من جملة مشاكلنا ليست الحدود والفقر والتخلف والصراع القبلي والاثني والأطماع الخارجية ولكن -ايضا- إقصاء الفرد وتهميش دور المثقف وسيطرة النظم الديكتاتورية والتوزيع المتفاوت للثروات.

فالمثقف المقموع في دول عربية وافريقية عديدة عليه أولا - ونحن نتحدث عن التحاور والتثاقف- إيجاد آليات حوار وجدل مع السلطة والأزاب والجماعات أي كان انتماء وايديولوجيا هذه الاطراف لأن المثقف رهن حالتين :إما قمعه أو سحبه إلى حظيرة السلطة.

فدور المثقف في سياق الجدل القائم عليه ان «يبدأ بالفرد وينتهي الى المواطن وينطلق من الفرد - المواطن ليصل الى الدولة الديمقراطية»(15)

«المثقف الجمعي» عليه مثلا إعمال ميكانيزمات الحوار لتقريب الهوة بين «الهوتو»و«التوتسي»و«التوا» في روانـدا» وايجاد ارضيةتفاهم وتقارب خاصة حول توزيع الثروة والسلطة وبحث تشريك هذه القبائل في الفعل السياسي والشأن العام.

بالمثل على المثقف تقديم حلول للخلافات الجزائري المغربي حول الصحراء الغربية وتقريب أطراف النزاع في نيجيريا خاصة جماعتي «الايبو» و«الأوجوني» ..ولا ننسى الحرب الصومالية التي صار الصراع فيها دينيا وسياسيا واستراتيجيا... غير ان المثقف عادة - ونحن ضمن السياق العربي الإفريقي - لايجدمجالا للفعل، وبقي حواره عقيما بسبب عوامل موضوعية واخرى ذاتية.

ليس أهمها إقصاء المثقف الحرّ واعتباره مرتدا أو معارضا أو خائنا ممايفتح المجال لمثقفي السلطة لتقديم الحلول التي عادة ما تكون هي نفس مواقف الأحزاب الحاكمة والقوى المسيطرة.

بالمثل تتخذ حكومات عديدة قراراتها دون استشارة الشعب ودون الرجوع للأجهزى التشريعية النافذة في الدولة ، على غرار اتفاقية مصر مع اسرائيل (1979) مما أتى تأثيرا حاسما لصالح الأنظمة الاستعمارية وضد رغبة بعض الشعوب في التحرر، وساهم في ايجاد شرخ عميق بين العرب والأفارقة مع ذلك يبقى الحوار والتثاقف آليات المثقف ويجب ترسيخ هذا التقليد لدى «المثقف الجمعي» عوض الانخراط في مقالات وأدبيات عفا عليها الزن، ولا تخدم إلاّ ليبراليين جشعين أو محافظين ميتين..

ج- الكشف عن بؤر القمع وضرب الحريات والتنديد بها

في إطار العمل على خلق بيئة مناسبة للتلاحم العربي الافريقي يعد الكشف عن بؤر القمع وضرب الحريات والتنديد بها من الأدوار الضرورية للمثفبل والتي لا يمكن الاستغناء عنها إذا كان الهدف ايجادأرضية حوار وتفاعل بين المثقف والسلطة والشعب من جهة داخل القطر الواحد، وبين القطر الواحد وبقية الاقطار.

وهذا الفعل الذي هو من ادوار المثقف و«المثقف الجمعي» تحديدا يستدعي حفرا اركيلوجيالفهم آليات القمع وميكانيزماته وشروطه واختلافه من قطر الى قطر ومن سياق اجتماعي الى سياق آخر.

فالقمع باسم «الوطنية»مختلف عن غيره باسم الدين أو باسم الإرهاب أو باسم الحرية..غير أن النتيجة في النهاية واحدة،وهي «صنع»الإنسان الخائف والمتردد وغير الفاعل.وبالتالي تسمح هذه النتيجة بوجود دولة يمثلها الحزب أو الفرد أو العائلة أو القبيلة «وهذا مكن من انتاج مثقف عربي لم يستولد معه أو له طبقات اجتماعية تحتاج الثورة أو تحكم بها»(16)

بالمثل يصح هذا القول على المثقف الإفريقي الذي لا زال يراوح بين قمع السلطة والقبيلة والتدخل الخارجي وعوامل أثنية وسياسية مختلفة.

وأمام عدم الوصول إلى إنتاج«مثقف جمعي»عربي إفريقي»بدأ المثقف عارياً أو شبه عار معلقا في الفراغ ينوس بين جمالية المتمرد و يوتبيا النقد الاجتماعي الشامل»(17)

إذن،هل أن المثقف استقال من دوره التاريخي؟

أم السلطة باختلاف أشكالها أشاعت مفهوم «الخوف» لإقصاء المثقف؟

ثمة تشابك بين السؤالين ،بل ثمة علاقة مبطنة وضمنية.فالمثقف استقال من دوره ربما بفعل القمع والإقصاء الذي تمارسه السلطة باختلاف أشكالها عليه.وثمة-أيضاً-عدم وعي من المثقف الدفاع عن «كبريات الأفكار لتحررية لزمننا»كما ينادي بذلك بليخانوف في كتابه»الفن والحياة الاجتماعية»،إلا أنه من الضروري للمثقف قبل ذلك «صوغ رؤية نقدية ومستقبلية تحمل بديلاً لوضع قائم»(18) بمعنى تحويل وجهة المجهر النقدي نحو القمع الداخلي والإرهاب المحلي الذي يمارس باسم الدين والوطنية والقومية والقبلية..قبل أن نفتح نوافذنا على الإرهاب الأمريكي وضرب الحريات في غوانتانامو أو السجون السرية في أوروبا وأبو غريب.

نحن نحتاج «ثورة تقتلع طبائع الاستبداد من حياتنا ومن فكرنا.ولن تتحقق هذه الثورة ألا إذا شاعت ثقافة الحرية ثم تمكنت من النفوس بحيث يتكون على أرضنا:الإنسان-الفرد-الحر»(19)

فالإنسان-الفرد-الحر،هو المطلب الإنساني الأسمى الذي به يتأسس الفعل الحضاري،الذي بدوره يدعم هذا الإنسان.

والمؤسف حقاً أن الإنسان في العالم النامي لا يزال مقيداً ومغترباً ومحاصراً ومقموعاً،ولم يدرك بعد مفهوم الحرية المنشود.لهذا على المثقف أن يكشف بؤر القمع والعقاب والإقصاء والتهميش وإشراك المثقف الآخر/المجاور و العالمي لوضع هذه الميكانيزمات على طاولة التشريح النقدية.بغرض إرجاعها إلى أسبابها وشروطها ونتاجها،ومن ثمة التنديد بها وإشهارها.مع ضرورة التأكيد على أنه لا بدّ من تشريك الفرد والمجتمع داخل القرية والقبيلة والمدينة والدولة والكيان،حتى يكون للمثقف كتلة دافعة ومساندة،وبالتالي ننتج«فرداً جمعياً»يقف مع/بجانب«المثقف الجمعي».

د-التساؤل المستمر ونقد الراهن

ثمة مسألة من الأهمية والخطورة بحيث يجب الانتباه إليها.وهذه المسألة هي تقديم الإجابات والحلول الجاهزة على الأسئلة والإشكاليات المطروحة.

فالمثقف عادة لا يقدم الحلول الجاهزة،لأن الطرح عادة يبقى نسبياً وفق التحولات التاريخية والحضارية.ولكن المثقف يحارب «العقل الإطلاقي» و «الثوابت» و «المقدس» ويدافع عن الإختلاف و النقد و التساؤل وطرح الإشكال.

ذلك أننا دول لا تبجل السؤال و النقد، بل تحترم الحلول الجاهزة و العقل الإطلاقي.

هذا ما أشيع على الأقل رغم أن حضارتنا العربية والإسلامية والإفريقية ثرية بكتب الفلسفة والفكر والتاريخ.

غير أن الآلة السياسية و الفكر الغربي الداعي للكره والإقصاء و الإحتلال.. ساهم في إقصاء هذا الإرث بل وجفف منابعه، مما ولّد مثقفين متلهفين دائما على التساؤل و النقد.

فطالما أننا لا نسأل فإننا لن نجيب. و طالما أننا نقدم الإجابات الجاهزة،فإن أسئلتنا مختلفة ومغلفة بالإيديولوجيا، و ليست بالشروط العلمية.

إذن، لابد من التساؤل حول مفاهيم الطبقة

والعرق والجنس و إحالتها إلى شروطها.

لابد من التساؤل حول المسيحية والإسلام والوثنية ضمن سياقهم و تأثيرهم..

لابد من مناقشة اللغات واللهجات الإفريقية التي تفوق 2000 لغة، و مدى القدرة على جمعها أو تلخيصها..

لابد من التساؤل حول طبيعة الأنظمة السياسية وخطورتها و ما مدى قدرتها على الوفاء بوطنيتها..

لابد من التساؤل حول توزيع الثروة والسلطة والسلاح..

لابد من التساؤل حول مفهوم المثقف والسياسي ورجل الدين (مسيحي،مسلم،يهودي،وثني..) وشيخ القبيلة..

كلها أسئلة لا بد من وضعها على طاولة التشريح النقدية/

العلمية، بهدف خلق تراكم إشكالي ومعرفي به يمكن فك شفرات القضايا المحلية و الوطنية و القارية..

كما يخدم الإنسان – الفرد – الحر، ضمن الكيان الثقافي العربي الإفريقي.

---

* *ألقيت هذه المداخلة في ملتقى الأدباء والكتاب العرب والأفارقة بنغازي – ليبيا في أكتوبر 2010*

المصادر والمراجع:

1 – مطاع ألصفدي:«المشروع النهضوي المختلف»، مجلة الفكر العربي المعاصر – بيروت، العدد 56/57، سبتمبر/أكتوبر 1988.

2 – كلاوس أوفه : مقال المجتمع المدني والنظام الإجتماعي، مجلة الثقافة العالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، العدد 107، يوليو – أغسطس 2001.

3 – رضا الزواري: ملاحظات حول نظرية المجتمع ضد الدولة، مجلة الفكر العربي المعاصر – بيروت، عدد 56/57، سبتمبر/أكتوبر 1988.

4 – علي حسن المحجوب: حقوق الإنسان بين النظرية والواقع، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت،المجلد31، أفريل/ماي 2003.

5 – مطاع ألصفدي، نفس المصدر السابق.

6 – المثقفون والقومية العربية: فريضة المراجعة، مجلة الآداب البيروتية، العدد 11/12 نوفمبر– ديسمبر 2003.

7 – عبد العزيز حسين الصاوي: أزمة المصير السوداني- مناقشات حول المجتمع والتاريخ والسياسة، مركز الدراسات السودانية، القاهرة 2004،ط.2.

8 – مطاع ألصفدي: نفس المصدر السابق.

9 – عادل عبد المهدي: الموسوعة الإقتصادية، دار إبن خلدون للطباعة والنشر، بيروت 1980،ط1،ص.131

10 – عبد الله بلقزيز: نهاية الداعية – المكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز العربي، الدار البيضاء/بيروت 2000، ط 1، ص 37

11 – حمد أحمد الحاج: إشكالية اللغة والهوية (دراسة وصفية تحليلية)، كتاب أوراق وأبحاث فعاليات المؤتمر الرابع والعشرين للأدباء والكتاب العرب، ليبيا 2009.

12 – إدوارد سعيد: الدور العام للكتاب والمثقفين، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 68، رام الله – فلسطين، صيف 2001.

13 – نفس المصدر السابق.

14 – كلاوس أوفه: نفس المصدر السابق.

15 – خليل دراج: الشيخ التقليدي والمثقف الحدث، مجلة الكرمل، نفس المصدر السابق.

16-Michael Walzer : La Critique Social au XX Siecle. Ed: métalité Paris, 1995, P:32-33

17 – نفس المصدر السابق.

18 – د.محمد حافظ دياب: المثقف العربي والدولة – جدل الرمز والسلطة، منشورات إتحاد الكتاب العرب 2004، ط 1، ص 56.

19 – مجلة قضايا وشهادات، العدد الأول، قبرص 1990، ص 198.

تأملات في كتاب محمّد الجويلي: "البَطلُ في الإِسْلاَمِ الشّعْبِي"

بقلم: نور الديـن بن بلقاسم

صـدر للدكتـور محمـد الجويلي كتـاب بعنوان: "البطل في الإسلام الشّعْبِي". طبع هذا الكتاب بمطبعـة تونس قرطـاج، سـنة 2007، مقاس : 15/21.

وقسمه المؤلف إلى قسمين :

- **قسم عربي يقع في إحدى وسبعين صفحة (71 ص)**
- **وقسم ترجم فيه ما كتبه باللغة العربية إلى اللغات : الفرنسية والانقليزية والايطالية، ويمتد هذا القسم على مساحة سبع وخمسين ومائة صفحة (157 ص).**

وبذلـك تكـون جملـة صفحات الكتـاب ثمـان وعشـرين ومائتي صفحة (228ص) ويذكر المؤلف» مـن أن هـذا العمل هـو في الأصل باب مـن أبواب أطروحت(ـه) للدكتوراه حول الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي « والتي قدمها بجامعة السريون بباريس سنة 1995 .

ومضمـون الكتاب يتمحور حول الرؤية الشعبية للبطل في الإسـلام الشـعبي، وقد أخذ المؤلف مثالا تطبيقيا على ذلك هو : علي بن أبي طالب في الثقافة الشـفوية التونسـية من خلال ملحمة شعرية ، رغب المؤلـف أن يقدمها في روايتها الأصـلية عندما كانت تنشـد قديمًا في لهجة التوازين بالجنوب الشـرقي لتونس.

وقسم المؤلف القصيدة المدروسة إلى وحدات أو مقاطع درسـها أولا من منطلق قراءة أنتروبولوجية بعد أن بين "الأصول التاريخية والإطار الاجتماعي" لها ثم قام ثانيا بتحليل القصـيدة ووضّـح جنسـها الأدبـي، وأكـّد أنه ينتمـي إلى "الجنس الملحمي"

وذكـر أنه إذا كانت الملحمة الإغريقيـة تبني على تمـرد بروميثيوس علـى الآلهة بقهره لهـا وافتكاكه النار منها فإن القصـيدة موضوع الكتاب إستفادت في تقسيمه الملحمي من الطاعة" المطلقة له وخضوع كل مُسـلـّم لمشيئته" ، إذ لا شـيء في حياة المسلم عبثية (كذا) ، فكلّ شـيء له معنـى، وقابل أن يفهم من خلال كلام الله، والموت ذاته هو مواصلة للحياة، طريـق إلى الحيـاة الخالـدة ... كل شـيئ في حياة المسـلم ملحمي، حياة المسـلم كلـّهـا ملحمة تتحقق عبر انتصارات متتالية، آخرها هو العيش إلى الأبد في جنة الخلد" .

وتحـدث المؤلف ثالثا على بنية القصـيدة محور الموضـوع، وذلك بـأن ذكر الأحـداث التي وقعت في مقاطعها السـتة ، حيث كان علي بـن أبي طالب هو محورهـا ومحركها، باسـتثناء المقطـع الأوّل الذي ينفتح على ضَيْم المشركين للرسول محمد صلى الله عليه وسـلـّم، وَالذي منه ينطلق تتابـع الأحداث في بقيـة المقاطع، حيث يأتي الملك جبريل إلى الرسـول " فيطلب منه أن يأتيه بعلي" للذود عنه والانتقام من المشركين.

وفي المرحلـة الرابعة بـين المؤلف أنـه من خلال المخيال تشـكـّل الجماعة سواء أكانت قبيلة أو شعبا أو أمة أو غيرها صـورة لبطلهـا المنقذ والمتمثـّل في سـياق الحال في علي إبـن أبي طالب "الشخصـية التاريخية الشهيرة في بدايات الإسلام الذي يحارب المشـركين ويدافع على دينه الجديد" ، غير أن وراء علي الصـحابي "يَتـَخَفـّى علـى آخر فارس توزني من ورغمـة يعلن الحـرب ... ليثأر لشـرفه ويحمي

زوجته وأطفاله " .

وحلل المؤلف كذلك في المرحلة الخامسة وظائف القصيدة فقسمها إلى ثلاث وظائف :

الأولى : وظيفة الترويح عن النفس في أوقات الراحة والإسترخاء، وتوفير مناخ للتأمّل وفتح آفاق جديدة .

الثانية : وظيفة أسطورية وتتمثل في الحمامة التي أرسلها الرسول إلى ساحة المعركة كي تمنع إراقة الدماء، وفي نفس الوقت "تعمل على أن لا يحنث علي، لا سيما وأنه أقسم بأن يريق الدماء حتى تسيل غزيرة وتصل إلى مستوى الركبة" ، فكان نزولها في ساحة المعركة فوق دماء المشركين التي وصلت ركبتيها.

الثالثة : وظيفة اجتماعية تتمثل في إنتاج "البطل النموذج" ، في القبيلة والمماثل لصورة علي بن أبي طالب البطل التاريخي للنسج على منواله في" خلق الكثير من الأبطال... الذين بإمكانهم حماية الجماعة من التشتت بل من الإضمحلال" نتيجة هيمنة" الإستعمار الفرنسي" .

لقد استطاع الدكتور محمد الجويلي في كتابه المشار إليه آنفا أن ينفذ إلى خفايا هذه القصيدة، ويستخرج منها ما يدلّ على الوضع السياسي والاجتماعي والعقدي للتوازين بورغمة، وكان أسلوبه التحليلي مشوّقا برصانته، جذّابا بانتقاء مفرداته وجلاء عباراته، مما يشيئ بصبر الباحث ورصانة العالم.

غير أن هذا العمل ككل عمل إنساني لا يخلو من نواقص، فقد وردت في المتن هنات لا بأس أن ننبّه إليها لتلافيها وهي عديدة منها :

الأخطاء المطبعية :

- في ص: 34، هامش رقم : 43: (لابدد أن يتحرض الأفراد) والصواب: لا بدّ.
- في ص: 59 هامش رقم: 52 : (ويستولون علي أغنامهم) والصواب: على ... كي لا يصبح حرف الجرّ إسما، ونفس الخطأ في ص 70 بالمتن.
- في ص :63 ورد في المتن: (إمكانية أفاق جديدة) والصواب: آفاق بمدّ الألف.

الأخطاء النحوية :

- في ص: 48 ورد بالمتن(لا شيء في حياة المسلم عبثية)، والصواب:(...عبثي)، إذ الضمير في السياق يعود على الشيء ولا يعود على الحياة.
- في ص : 64 وفي حديث المؤلف عن الحمامة قال (احمرّت ركبتيها) والصواب: (... ركبتاها)
- وخطأ آخر مشابه ورد في ص: 65 في قوله عن الحمامة: (احمرت ساقيها)، والصواب:(... ساقاها)، إذ ليس هناك من داع إلى نصب المثنى أو جرّه بالياء والنون في العبارتين السابقتين.

الأخطاء اللغوية :

- في متن القصيدة ص:19، وردت في السياق جملة (صَفَنَ بَرَانِيسَهُ...) فشرح المؤلف لفظ صَفَنَ في الهامش رقم : 9 من نفس الصفحة المشار إليها بـ:(نَزَعَ برانيسه)، والحقيقة أن المعنى غير ذلك، ففي لسان العرب يقال: "صَفَنَ ثِيَابُه في سرجه إذا جَمَعَهَا فيه" ، وبما أن المعنى يعود على الفارس التوزني المتخيل على غرار صورة البطل علي بن أبي طالب فإن لفظ (صَفَنَ) يعني (شَمّرَ) برانيسه حتى لا تعطله على محاربة الأعداء والتشمير إذن هو ليٌّ الفارسِ لثيابه دون نزعها.
- وفي متن القصيدة كذلك ص : (19) ورد في حديث الشاعر عن علي بن أبي طالب وما فعله بالمشركين، قال:

خلّه الروس مثل العنصر
مقسومة أشطار شطاذر

فسّر المؤلف في الهامش رقم : (10) من الصفحة المذكورة كلمة (العنصر) بـ (الحنظل).

ولم أجد في لسان العرب ما يدلّ على أن (العنصر) هو الحنظل.

فـ(العنصر) هو تحريف أدخلته اللهجة الدارجة التي كتبت بها القصيدة على لفظة (العنصل)، وهوكما ورد في اللسان

"نَبَـاتٌ أَصْلُـه شبـهَ البَصَـلِ، وَوَرَقُـه كَوَرَقِ الكـرّاثِ، وأَعْـرَضُ منه، وَنَـوْرُهُ أَصْـفَـرُ، ومنه يصنع الأَطِـبَّاء خَـلاًّ شَدِيدَ الحُمُوضَة".

بينما الحنظل هو "الشـجر المرّ" الشبيه بنبات "الدلاّع" حسب التسمية المغاربية، أو نبات "البطيخ" حسب تسمية أهل مصر.

ومـن الهنات أن نص الهامش رقـم (14) من صفحة 35 هو نفس النص المكرر في ص: 36، هامش رقم: 15 مع زيادة فيه: لذلك فالأولى حذفه.

أضـف إلى ذلك أن هذا الكتاب يقدم صـورة عن المعتقدات الشـعبية بجهة الجنوب من خلال نص سـماه الباحث بـ "الملحة" وهو في منحاه من حيث تناوله للحـرب والمعتقدات يسـير في هذا المسـار، غير أن الملحمـة بمفهومها القديم هي: "الحرب العظيمة.. ذات القتل الشديد، حيث يُقَاطِعُ المتقاتلون لحومهم بالسـيوف، وشـاهد ذلك قول الشاعر:

بِـمَلْـحَمَةٍ لاَ يَسْـتَـقِـلُّ غُرَابُهَا
دَفِـيفًا، وَيَمْشِي الذِئْـبُ فِيهَا مَعَ النِسْرِ".

فالملحمـة إذا هي قصـة شـعرية طويلة تصـف الحرب التي يشـتد فيهـا القتال كما تصـف أبطالا عديديـن، والنص الـذي تناوله الباحـث له ملامح الملحمة وليس فيه "النفس" الملحمي الطويل. زد على ذلك أن النص الشعري الذي قدمه الدكتور الجويلي يحتـاج إلى مزيد الضـبط العلمي وذلك بتقسـيمه إلى مقاطع تكون لها أرقام حتى يسـتطيع القارئ أن يقابل بينها وبين تحليل المؤلف لها نثريا لمزيد الفهم والتعمق فيها.

على أن ما ذكرته سابقا من هنات لا ينقص البتة من قيمة هذا العمل الجيد المشوق للقارئ بما أضفى عليـه المؤلـف من خصوصـية الجهـة في معتقداتها وعاداتها، وبما أكسـبه من رصـانة الباحث المدقق، من تحاليل غاصـت في أغوار النصّ، فاسـتخرجت مكوناتـه، وقدمتهـا في لغـة جميلة بسـيطة هي لغة الباحث المدقق، ولغة العلم التي لا تقبل التأويل.

نصوص شعرية

شارعُ الحُرّيّة

◆ نزار شقرون

- 1 -

فِي يدِي هِراوَة
وقبضةُ أحْلام عتيقَهْ
وقلوبٌ في شارِع الحَيّ مُنْتَفِضَهْ
فِي كُلّ رُكْنٍ حِجَارهْ
مِنْ سُخْطِ الأرْضِ نَبتَتْ ورْدَةُ الحَقيقَهْ
عِنْدَ كُلّ رَصيفٍ شَرارهْ
مِنْ شَبَابٍ صَدْرُهُ للّيلِ مَنارهْ

- 2 -

مِنْ يَدِي سَقطتْ جَريدهْ
وَحطّ في رَاحَتي حَديدُ المدينَهْ
وَرَأيْتُ شَجَرًا في الطّريقِ العُمُوميّ
بِلاَ خوْذَةٍ أوْ ورَقٍ
يَنْحَني لظلّ الحَديقهْ
أكَادُ أعُودُ إلَى ألْوَاحِ الخَشبْ
لأحْفِرَ صَوْتِي
أكَادُ أحْرِقُ كلّ الكُتُبْ
لأنّها دُونَ مُوسيقَى الرّابْ الفَريدهْ

- 3 -

فِي يَدِي مَسَامِيرُ لسيّارَاتِ الإغارَهْ
بَدَلَ الطّبْشُورْ
وكَثيرٌ مِنَ النّبْضِ
أضْرِمُهُ في عَجلاَت المَرَارهْ
وأمَامَ حَواجِزِ الرّفْضِ
وَقَفَ اللّيلُ يسْألُ صَدِيقهْ:
يَا صَاحِبَ السّاطُورِ مَنْ تَحْمِي
بيْتَكَ؟ خُبْزَكَ البَارِدَ؟
أمْ
تَحْمِي ثَوْرَةً وَلِيدهْ

- 4 -

فِي يَدِي هَاتفٌ مِنَ المَقْبرهْ
هُتَافٌ أبْلَغُ مِنْ تهَافُتِ الحُكُومهْ
لِلْمَوْتَى حقُّ التّعبيرْ
لَهُمْ شَكْوَى مِنَ الأشْواكْ
وَعرْبَدَة المَارّهْ
لَكنّهُمْ نَسُوا مَشَاغِلَهُمْ اليَوْميّهْ
في انْتِظارِ المَلَكوتْ
طَالَبتْ عِظَامُهُمْ
حِرَاسَةَ الثّورهْ

- 5 -

بيْنَ يديْ حَفْنَةُ تُرابْ
لهَا وَجْهُ الغيْمة عنْدَ المخاضْ
لَهَا أجْنحةُ الحرّيّهْ
في موْسِمِ إنْجابِ الأبْطَالْ
الذينَ ولِدُوا
بَعْدَ سِنِّ اليَأسْ
في الشّارِعِ الحَبيسْ
تَحرّرت أقْدامُ المُشَاة
ولمْ تُصدّقْ جَوارِبُنا رائِحَةَ الحياة

- 6 -

بيْنَ يديْ يتسلّلُ دُخانُ القَنابلْ
يَعْتَلي بَابَ الدّيوانْ
يَرْسُمُ علَى طُوبِ السُورِ فَتيلهْ
هَذه صيْحَةٌ حُبْلَى
تَطْرُقُ صَدْرَ الأبْناءْ
أحْفَادَ الغُصّةِ الخَضْراءْ
وتمْضي في هوائِي الجَديدْ
تَغْتَسلُ بالدُموعْ
دُونَ أنْ يبكي أحَدْ
قَطَفُوا دَمْعًا تحتَ التّرهيبْ
هذه الصّيْحَةُ
سمّرتْ عزْرَائيلْ في نَعْشِ الوَزارهْ

- 7 -

أمامَ يديْ مُهرْولُونَ
بالأمْسِ نَزَعُوا سراويلَهُمْ
كانُوا بَالُوعةَ الخُصَاة المْخصيّينْ
لثلاثَة وعشْرينَ عَامًا
بَكى البَنفْسَجُ
لأنّهمْ سَرقُوا لَوْنَهُ
وَخَانُوا رَائحتهْ
ثمّ زَرَعُوا ثِيَابَهُمْ في المْزْهَريّهْ
فجْأةً ثَبّتُوا الفزّاعهْ
ورَأوا في بيَاضِ شعْرِهَا عَجْزَهُمْ
بَحَثُوا عنْ حيّةٍ
تُلاعِبُ السّاحِرْ
تُسوّدُ شَعْرَ القَصرِ
ما وَجَدُوا غيْرَ يدِ الحلاّقهْ

- 8 -

بعيدًا عنْ يَديْ مُهرْولُونْ
أقْلامُهمْ مُقلّمهْ
أفْواهُهمْ حرْبَاءُ الأوّلينْ
يرْثي لصَوْتِهمْ مِصْدَحٌ يتيمْ
وحْدَهُ مُكمّمٌ
بنفاقِ النّوفمبريّينْ
ميّتٌ
لِسَانُ الإذاعهْ
وَحْدَهُ معَ وحْشَةِ السّامِعينْ

-9-

أَمامَ يديْ شَاشاتٌ مُزيّفَهْ
كَثيرٌ منَ الأقنعهْ
هرّبتْ قَبْلَ الخُبْزِ
أَدوات التّجْميل
خَرَجتْ الأَقفاصُ إِلَى شارعِ الحرّيّهْ
فرّتْ منْ ضراط الببّغاءْ
ليْسَ لَهمْ وجْهٌ
لهُمْ خُرْطُومُ الفيلْ
كَثيرٌ منَ الأَقْنعهْ
وَضَعتْ في تَابُوتِ التّلفزيونْ
هيْكَلنَا الثّوريّ
وعمّدتْ رأسَ المومياءْ

-10-

حذْوَ يديْ أَبو زيْدْ
أَخْرَجَ رَأْسَهُ منْ عربَةِ الخُضَارْ
وزّعَ فاكِهَةَ الحرّيّة
بلحْمه المشويّ
أشْعَلَ نبْتَةَ القُلوبِ اليائسهْ
لاَ وحْشَةَ بعْدهُ
لاَ خَوْف منْ عَرْبَدَةِ الصّيْد

-11-

حذْوَ يديْ شَعْبٌ عفْويّ
سَابَقَ الأَيّامْ
عَجّلَ بالأحْلامْ
زَرعَ في أقْدَامِنَا سرّ الدّهْشهْ
ثمّ أيْقظَ الهتَافَ منْ وَسَائِدنَا
وأخْرَجَ أَلَمَ السّنَواتْ
شَعْبي بلا بيْتِ
خيّرَ الحَياةَ فِي السّاحاتِ العامّهْ

-12-

خلْفَ يَديْ غَابَةُ رُؤُوسْ
مُدُنٌ تَجْري
نَحْوَ المُفْترَقاتْ
وَصُدُورٌ عَارِيةٌ
تَعْلُو فِي منْظَارِ القنّاصْ
أيُ نَشيدٍ يسْبقُنَا
أيُ مَدى لِحنَاجِرِ البَراءَةِ
يُحرّرها الرّصاصْ؟

-13-

في يديْ نَقَراتْ
حَواسيبُ المُدوّنينَ مرْآةُ اللّيْل
كَلماتُهمْ مغْمُوسَةٌ
في قصْعَةِ الصّورهْ
وَأَصْواتُهُمْ أَسْكَتَتْ لعْنَةَ الطّلقاتْ
الفايسبوكيّونَ
يُشْعلُونَ النّهارْ
يُقرّرونَ عزْلَ السّاعةِ القديمهْ

يُعْلِنُونَ في شاشاتهمْ
نِهايَةَ التّاريخْ
وَيَشُنّونَ التّمرّدَ السّلْمي
في عيْنِ الطّرُقاتْ

-14-

في يديْ هِراوهْ
منْ خشَبِ نَعْشِ الشّهداءْ
تُرْبكُ عَقَاربَ السّاعهْ
وتَسْتوْقفُ الفُصُولْ
مَوْجٌ يُغادرُ بحْرهْ
وأحْلامٌ تَعودُ منَ الأعْماقْ
شَعْبِي يُخيفُ الفزّاعهْ
طيُورٌ تحْتلُّ الحُقولْ
في اليَدِ الواحِدَةِ ملاَيين القبضَاتْ
هبّتْ لأيّام
فغَارَ النّسيمْ
ودوّتْ لأيّام
فارْتَعشتْ جُحُورُ الحَشَراتْ
لأيّام تَثُورْ
تَقُولُ كلامًا قَليلاً
لأنّ الكلامَ الوفيرَ خجولْ
تقُولُ كَلامًا قليلاً
"ارحلْ يا ديكتاتُورْ".

آخر الدّواء

◆ ناجي الحجلاوي

(وأخيرا أدرك العالم أنّ سيدي بوزيد لا تنتج خرفانا فقط)

آخر الدّواء
رحلة الشّتاء نحو ساحل
قديمْ
هل تأكلون من خِرفاننا
خرفاننا ككبش إبراهيمْ
مليحة
قرناء
تأكل الأحزان
من طوابع البريد
تطرّز «المرقوم»
كسوة للعيد
من واحة الأفراح
تستعير علبة الكبريت
ويوم عيدها تفيق
ككعبة الحجّاجْ
تحت المنجنيق
أو كجبّة الخليفة المعلّقة
تلوح من بعيد
يا أيّها الحَجّاج
أعيادنا سواء
كآخر الدّواء.
خرفاننا

ثغاؤها الصّريح
يذكّر الذّبيح
بأنّه القربان في الصّحراء
وأنّ آخر الدّواء
رحلة الشّتاء في المصيف
ورحلة المصيف في الشّتاء
هل تأكلون من خرفاننا
خرفاننا بعيدة وسارحةْ
صديقنا المسيح
ههنا قد أكمل العشاء
وصلّى ركعتين في الخفاء
وكان لا يهاب مَنْ يُخيف
ههنا قد أكمل العشاء
وقبّل الرّصيف
وغاب منذ البارحه
هل ترغبون في العشاءْ
إدامه يذوب كالثّلوج
وطعمه روائح الشّواء
تفوح قرب إبراهيم
وزوجه المهاجره
وتحكي ما تشاء
عن آخر الدّواء

أعي ما أقول

◆ عادل الهمامي

أعي ما أقول
وليس بوسعي احترام الجراح
ولا فيض دمعي الذي لا يزول
أعي ما أقول
***
جراحي تفيض على شرفة من ذهول
وصدري يغادرني نحو جمر الثنايا
فأسأل عن لون عاشقة لا تفرق بين مرارة وجهي
وطعم النشيج
وأمتد من صرخة في السؤال
الى رعشة من مرايا الضياع
لعلّي أراود حلما سيأتي
لعلّي أرى سنديانا تعرّى من الوقت
أو لحظة لم ينلها الأفول
فأمضي
وبي رغبة في الأماني
لعلّي ألامس عشقا يطول
أعي ما أقول
***
أؤثث صمتي نشيدا
وقلبي الموزّع مثل الثنايا على ألف عاشقة
أستعيد إليه طقوس البدايات
أكتب عن فاتنة لم تبارح أنوثتها
أرسم الحبّ في جسد مثقل بالهمس
أو جسد شاحب من ذنوب الزّمان
وأتلو احتراقي بعيدا عن الظّلّ
أكتب عن شغف الدّمع بالأقحوان
وعن مدن لا تؤرّخ خطو الصّعاليك
أكتب عن شاعر هدّه العشق
وهو يغنّي عن الياسمين
وعن موعد لم تزره المرايا
وأفتح صوتا على زمن حافل بالجراحات
أمشي
ووجهي يراوده الاغتراب...
أعي أن شدوي اعتراه الوصول
أعي أنّ دمعي مرير كعمري
وأن فؤادي احتواه الذهول
أعي ما أقول
***
أعلّق وشمي على أمنياتي
وأفضح حزني على أغنياتي
أمارس تبغ الكثافة وحدي
وعند المساءات أسكر بالعاشقات...
كثيف أنا

والفتوحات وقعي
وفيضي يفيض علي النّبض
دمعا على دمعي السّواد يسيل
وهذا العويل
جنازة صمت أتاه الهديل
وإنّي أسيل
وعمقي اختراق
وليلي طويل
أبارح سيل المراثي بصمتي
وفي مولد الاشتعالات أوقد نرجسة للصّباح
تؤثث وجها لعذراء لا يشتهيها الذبول
أظلّل أرصفتي بالقصيد
أغنّي
فبالشّعر تأتي الأصول
أعي ما أقول

***

أعي أن صمتي عناء تجلّى
وأن جراحي مكوث تدلى
أعي أن شعري امتداد لدمعي
وأن الرّبيع بعمري أخلّ
أعي أن قلبي بريء كظلّي
وأنّ الخراب عليّ أطلّ
فلا ذنب لي قد أتاه الغياب
ولا ورد عندي سقته السّيول
أعي ما أعي

أو أعي ما أقول
خطاي ثبات
وروحي شتات
وعشقي نواة... محتها الفصول
وإنّي أعي أنّ خمري اتّقاد
وأنّي القوافي
ووقعي فعول
فجاء القصيد ملاذا لبوحي
فقلت بجرحي:
أعي ما أقول

هكذا قال خليل حاوي لمحمود درويش

• المولدي فرّوج

سوّيتُ أحزمتي
لأنسفَ ما تبقى
من خيوط العنكبوت
فهل تصدقني ليوم واحد؟
إني . . .
وحق آلهة القصيدة ما كذبتُ
و ما لعبتُ
و إنما
أخشى إذا خنتُ القصيدةَ
أن أموت. . .
دعني إذن
وأزح رخامَك من فمي
تعب الكلامُ من الوقوف
على الذُرى
و أضعتُ مني إبْرةَ التطريز
في طول الخيوط
دعني إذنْ
و اسحبْ ظلالك من دمي
نزفتْ جروحي كلُّها
و يئستُ من ذكر البلاد. . .
. . . . . . بلا نعوت. . .
انـــــــي

سأتركها البلادَ
أبعثر الذكرى على أبوابها
و أحدث الشّعرَ الذي
كم عاش يرفع ظِلها
ليذلّها
سيقول كنا
ربما
روحا على جسد صبيّ
ربما
نارا على حطب طريّ
ربما نجما تعجّل في السقوط
إني سأتركها البلاد
و لن أموت
و أقول صرنا
دميةَ الأزرار
أو من لسعةٍ بالنارِ
صرنا
صفحةَ النّيلون
جعّدنا السكوت
إني سأتركها البلاد
لن يسبّ ترابها
و لن يصبُ شرابها

و لمن يقلّب شكلها
و لمن يقلّم نخلها
و لمن يجفف عطرها
و لمن يخفّف وزرها
و لمن لمن . . .
شنق الكلام
على جدائل حبرِها
انــــا
سنتركها لَهُمْ
فلَهُم
جنودُ الليل
و النمل الذي يأتي
من الصُدف الجميلةِ
. . . . .في سنين الجدبِ
. . . . .من سوسِ الهرمِ
انا سنتركها
لهمْ. . . . .
أن يجمعوا شعبًا ليرفعَهم
لهم . . . .
أن يبدعوا شعرا ليصنعَهم
لهم كل العتاد

قلنا فما رجع الصدى
دفن الشهيد على الشهيدِ
على الزنادْ
تحيا البلادْ
تحيا الأساطيرُ
الخرافاتُ الطوائفُ
و الفتنْ
يحيا الوطنْ
يحيا الذي يمشي
على فتوى
إلى كفن السوادْ
تحيا البلادْ
يحيى الذي يبقى أميرا
فوق أعمدة الرمادْ
تحيا البلادُ
بلا عبادْ
إنا سنتركها له
لنمرّ مثل العائدين من الحروب
بلا نشيدْ
و نفرّ بالوطن المخبئ في الوريدِ
إلى القصيد

مشرّدة الشرفات

◆ احمد لحباشة

لحظة في خطاها
تعثر ليل حزين الرياح
أتى من جهات الجنون الغبي
تلقفها بالأذى
يقذف الورد موتا
ويغري المحب..
بموت الربيع
جلست في يديها
بلاد مشردة الشرفات
وفاقدة الذكريات
تذلّ صباها يد
أقبلت من نعاس الرجولة
في الانهيار
بلاد من النخل والماء
منها تحيض عليها
وجوه أتت
ترتدي بالجنون
ذهول الرياح
جاءها الحيض
فاختلّ صوت الوجود
وأقبل في تعب
وجهها يحتمي بالواقفين
على عمرها بالبرود

لم تجد غير صمت
يجامل صوت الرعود
بكت.. همدت..
ولها قدم الموت
أرقى الورود
اقبلت تحتميني شرودا
وتختزل النور ضوضاء
في جسد
يرتمي في الظلام
شاهدا كنت
في غربة الوقت
استهجن الورد يبكي أسى
ظلّه فوق كفّي
يشمّ دما للسلام...

كلّما همستُ لشمعةٍ أطفأتُها

◆ دمّــر حبيب (سوريا)

– أ –
فطام آخر .
أوراقٌ صفراء تبادلت الحبر مع الخريف .
موتٌ على جانبي الطريق .
صمتٌ يعدو ورائي .
ضحكة مطعونة بالسعال .
تثاؤبة تلهم قبلة .
ريح تتقيأ زبدا يابسا .
رغيف يحمر خجلا.
كأس تنحني أمام فمي
وتغمد فراغها .

– قطعوا ثدي أمّي .
قلب يمزّق صفحاته .
جذور تجلد الماء .
اغماضة تفقأ العين .
خوفٌ يَشيب .

– قطعوا أمّي .

– ب –
كن .
مازال منذ عصور
يقول للحب كنْ فيغيب
وللموت غبْ فيكون .

– د –
أغلقَ بابَ العالم وقال :
قولوا للزهرة
فقدتُ أنفي في قبلة حاسمة .
قولوا للشجرة المنحنية كعلامة استفهام
دماغي المجعّد
عاد إلى ثمرة الجوز .

– . –
وضع خلف أذنه الأزل
بماذا يكتب بعد الآن تجاعيدَ أيامه ؟
أخذ ينشل وجهه من كهولة البحيرة
ليرمي به طفولته
لم يتقصّد العودة
لكن النرجس في دمه ارتحل
اقطفه عندما تصادفه
دعه يقطفك عندما يصادفك
تصادفا ، تقاطفا
بينكما خيط رفيع التمّ
عليه شمعُ وجهيكما .

– ح –
قد ينبت غصن من خشبة المسرح
ويصبح ستارا
عندما يحدس بخطى المشهد القادم .
ترى متى يزهر ؟

– ي –
أنا ووجهي
كلما صارحته صارحني
كلما حاصرته صاح : رَ
وكشف عن وجهي ساخرا .

طـــرق منكســرة

◆ جـلال باباي

الإهداء: «إلـى محجوب العيـــــاري* في الليلة الأخيرة قبل الرحيـــــل...»

تلك حالات خاثرة بحرائق الصبــاح
ودالية مقلتــي المطــرة
طرق منكسرة مثل دمي الملبـّد بكآبتي
على مشارف غيمة ظامئـــــة
أهـــذه حماقات الدنيـا
تجثم قـدّام سيدة الشجرات بغتـــــة !!
أم حلول نبوءة
لم يثنها عسســـة السمـاء
فطارت بخفقـة الأفئـدة
" ما أوحش الدرب يا صاحبـي..
... ما أمرّ الخريـــــــف "
يغـلـّق فصــول الملحمـــــــة
هذا وجه محجـــــــوب
همّ مضيـئا ببـــــراق الشوق
ثم طـــــــواه الصمت
ممتلئا بفتنة صحوتــه و أصوات المئذنة
... هذه عذاباتنـــــــا
تســاقط بوجع النشيد
وألسنتنا أرّقـها الصهيـل
فتلألأت أيادينا بالأزاهير المنمّقــــــــــة .

---

* محجوب العياري 1961 / 2010 شاعر وروائي تونسي من مؤلفاته: أمجد عبد الدائم يركب البحر شمالا (رواية) وخمس مجموعات شعرية منها: القصائد الأولى

لتونس أسرارها

◆ د. مبارك سالمين (اليمن)

هبت بي الريح من عدن الى قرطاج
هبت بي الريح من بحر الى بحر وقالت:
يا حفيد الهوى يا أنت يا شرق المحبة
أنت يا وتر الحنايا
لك أسراري ووعدي
لك اسحاري ووجدي
لك اشجاري ومائي
وبساتيني وبحري
وتفاريحي وداري

* * *

قلت يا أختاه:
تاج القلب للريحان
«ولعليسة « كل الزهو
للورد المرابط عند باب البحر شجوي
للصبايا ولكل البربر، الأعراب، للرومان
للبدوية الشقراء في صدر الجنوب
لعذوبة النوار
كل محبتي وهواي
جئت من ارض التهائم والوجوه السمر
مهجتي تهفو لمرسى الحب، للخضرة
آه لريح القيروان محبتي
ولتونس البلد الحبيب هواي

كل المدارات شمس

◆ احمد زنيبر (المغرب)

بأي المجازات أخفي حكاياتنا
وربيعك لا ينمحي من خيالي
أيا بسمة سافرت في عيوني
كسرب حمام
يسوم الأعالي هديلا
وآية...
أغالب همسي
وكل المدارات شمس
تناغي قواف
تفوح بعطر السؤال
وهمس الظلال
ليحملني الشوق راية...
تعالى الحنين بربع الهيام
فصرت أعيد نسيج الكلام
كأني أراك على صهوة الحلم
بجنح الظلام طيفا فريدا
تسامى نشيدا كفجر نهار
يحوم انسيابا بغير غيوم
أيا امرأة تتجاذبها الريح
رسما بديعا وغاية...

قصائد قصيرة .. روتها الريح

◆ عذاب الركابي* (العراق)

تعريــــف:

انا..
في انتظار..لا أحد
اقطف-كل صباح- زهرة
لأمنية موؤودة
وألوّح بمناديل حلمي
لأحبّة غابوا
-ملامحهم من ضحكة الارض
وبريق الكواكب -
بهجتي ذاوية
وكل مواعيد قلبي صدأت
قطرات المطر
تتشاجر على أرض!
ليست لي
ابدا...
في انتظار امرأة.. لا تجيء
مع ذلك...،
اكتب رسائلي الطفولية
لمدينة جاحدة!!

اعتــــراف:

وطني..
كان آخر الشهداء
وأبي آخر الفقراء
وقلبي موجع..
لم ترتّب نبضه
الإ مواعيد النساء

سبــــاق:

وددت لو أضع
كفيّ الرطبة في كفّ المطر
ووّددت لو أملك
قلب الريح
لو أسابق الشجر
من أجل مقعد لوزيّ
في حدائق القمر

اعتــــذار:

حين تعثرت الفراشة
في ضحكة الندى
اعتذرت الوردة
عن حضور اجتماع ساخن
في ثكنة العواصف!!

اختيــــار:

أيّهما تختار
لو خانك الزمن؟
امرأة..
ريحانة الأحلام والخطى
أم ليلة مقلقة..
في شوارع الوطن؟

امــــرأة:

رأيتها..تعازل الغيمة
وتصطاف..في مدن الرياح
وقد شمّمت ظلها،
حين تسلّلت من بين أضلعي
لتقيم مجلسا
في رئتي..للجراح

عذوبــــة:

أيّ موت مفجع؟
وأي انطفاء؟
قد كان في انتظارنا..،
لولا عذوبة النساء

مصادقـــة:

مرة..
حين تعثرت بظلي
صادفتني..امرأة،
سكنت وجهي،
وأغنتني كثيرا
عن لهيب المدفأة!

* شاعر عراقي مقيم في الجماهيرية

قصائــــــــد

◆ محمد بوحوش

في زاوية المقهى

وحدك جالس
في زاوية المقهى
وتقلّب الأيام
صفحة، صفحة...
بيض صحائفك وسود
صحائفك الأخرى..
وحدك لكن لست وحدك
فالمقهى يضجّ بروّاده
وأنت تضجّ..
تبرق.. ترعد..
ثم.. مطرا تهمي
على قارعة الأيام
وتحسب انك وحدك في المقهى
مجاز انت في زاوية ما من هذا الكون !
إنها تمطر في الخارج
مثلما في داخلك تمطر
مطوّق انت بليل المعنى في جسد العراء
ليس من مطر ما
ولست انت البليل
لست وحدك في زاوية المقهى
انت ادرى كيف يولد مطر ما
انت ادرى...

وقت سريالــي

صوتي مدعوك
والوقت ابيض..
حين جئت هذا الوقت
-وكنت امسكه في كفي-
لم أكن أعرف أن العالم أرحب
لم أكن أعرف..
امّا الآن وقد كبر هذا القلب
فقد صرت اقشّر تفاحة العمر
ضحكة او شهقة تنفلق تحتي...
لا بأس اذا قلت:
سآخذ مفتاحي واغلق
هذا الوقت السريالي عليّ
سأعود الى ورقي الاوّل
كي استكمل دائرة المعنى..
ثمة وقت ملء فمي يترقرق
او يتضوّر في داخلي..
ثمّة ذئب اخرس !

صباح نهونديّ

صباح نهونديّ
معلّق بجبل مشيمة الأزل
قرميد احمر يفرك عينيه
نافذة تطلّ على زبدة البحر
غيم برسم سرياليّ
فتات صمت على الأرصفة،
هواء كسول يكنس خيبته
بقايا أخيلة،
وطنين ذباب على الطرقات..
روميو يغازل جوليات
وأنت شهيّ كعادتك..
فعلام إذا تفرك اعصابك
تتأبط هاوية
وتمدّ يدا لتردّ نحوك؟
....
....
صباح نهوندي
بأنفاسه السكرى
عليك يدير اوهامه
وتنسى انك انت
تمضغ أحلاما
وتنفث غيما بصدرك
أيّ سجن هذا الصباح الأوكواريوم !
قل: أيّ مطرقة؟...
والعناكب ملء دمك !

من ضحايا النزوح

◆ عبد النبي العوني (وضّاح الجبل)

خلت الخبينة واختلى بديارهـا ذئب ... ويعوي في الضحى بجوارهــــا
أنكرت بيتي يوم زرته سائحـــــا ... وفزعت من جدرانه وغبارهـــا
وزغ وفئران ونسج عناكـــــــب ... يهوي مع الارياح عند خوارهـــا
لم يُبْق جُنْد السُوس هيكل صـــورة ... عبث الغزاة برسمها وإطارهـــا
يا هول ما فعل الزمان بمنزلــــي ... تبا لكفّـــه يا لخبث دمارهـــا
كم كنت ألتذّ الكرى مستأنســـــا ... بهريرة لم يبق غير صغارهـــا
تحت العباءة حـين تشخر انتشــــي ... فأضمّها لأنام قبل فرارهـــا
راحت ولم تر في المراح دجاجنـــا ... تلهو بريشه ثعلب في غارهـــا
حتّى العقاب الحرّ رمّم عشّــــه ... في ركن داري واحتمي بجدارها
هجر الخبينة من يزور بيوتهـــا ... ويصونها في ليلها ونهارهـــا
اين الشباب واين ملعب حيّنــــا؟ ... أسفي على كرة الصبا وشجارهـا
أين الصبايا الواردات وأين مـــن ... تخشى الدجى فتشد ذيل حمارهـا
أين المحافل والعرائس والدمــى؟ ... أين الشموع ومن يهيم بنارهـــا؟
أين البيادر والنوارج والرحــــى؟ ... أين الكسيرة؟ أين نفح بخارهـــا؟
هيهات قد أخلى النزوح ديارنــــا ... فآوى إليها البوم بعد حصارهـا
لا كلب ينبح في مقابر صمتهـــــا ... لا ديك يصدح في خراب قفارهـا
لا طفل يمرح في تراب ظلالهـــا ... لا عنز تسرح في ذرى صبّارها
قلـــق وذبّان وقفـــر موحـــــش ... سئم السّماء فصام عن أمطارهـا
تلك الخبينة يا دعـــاة خرابهـــا ... فابكوا ولو يوما على آثارهـــا

الخبينة: مسقط رأس الشاعر (بادية من بوادي سيدي بوزيد)

مســـاء حزيـــن

◆ شفيق طارقي

مساء حزين
كعادة كل المساءات في بلدتي
منذ دهر وحين
مساء حزين
أحاول ترميم بنيانه مستعينا
ببعض السجائر والخمرة الاندرين
بقصة حبّ على ضفة السان
بيني وبين الفراشات
كنا نشدّ الزمان بخصلة شعر
ونمضي الى حتفنا ضاحكين
مساء حزين...
احاول ترميمه جاهدا
بابتكار الفضاءات
في عتمة المشهد الآرمي المطوّق بالقبح من
نيكرجوا
مرورا ببغداد حتى جنين
بردّ السلام على العابرين
بفيروز تنثال كالدفء فيّ
وتحنو عليّ
بلوركا ودرويش
بالمتنبي وبالأولين
مساء حزين
كذكر الكبائر في حضرة الصالحين
كساء بطعم الفراوله
كزهرة نيلوفر لم تجد عاشقين
كمأتم دولة...
كتخت عظيم بلا عازفين
كمن طاف حوله
يروم التوحد بالانبياء وبالشاهدين
كيخت يعبّ البحار بلا راكبين
مساء حزين
ولم تسكر الخمرة الشاربين
على غير عادة
كل المساءات في بلدتي
منذ دهر وحين
مساء كغزة بين الجدار الفولاذي
والصامتين...
فعمت حبيبة قلبي انتصار
وعمنا جدارا وعارا
تقزّز منه الجبين
مساء حزين
كنص جميل بلا قارئين
مساء حزين
وغزة وقع الغزالة

بين الحروف وبين الدلالة
لم تكترث لالتباس العلاقة
في ذهن صيادها
اطلقت ساقها
بين شبه الجزيرة والشام
تملأ سلاتها من صلاة
ومن حكمة الأقدمين
مساء حزين . . .
كنهدي فتاة بلا عابرين
كقصر كبير بلا ساكنين
مساء حزين . . .
وغزة ما قال قيس لليلى
خزائن كنعان شوق المعري
الى حبكة القص . . .
عمق الجمال الأثيني
وموج البحار القديمة
تفاحة البدء
صوت المؤذن في الفجر
شوق الأحبة في الهجر
سر الغرابة في ملمح الموناليزا
وفيزا الى صحبة الطاهرين
مساء حزين
وغزة حمى العناق البديهي
بين الشوارع والناس
حزني وحزنك في حانة الطيبين
مساء حزين
مساء حزين . . .

فقط علينا أن نتذكّر

◆ بديع صقّور (سوريا)

وقفت على رأس الجبل
مدّت يدها لتقطف قمرا يتدلى
ظنّت انّ الصّعود الى الجبل
يقرّبها من ضفّة الله قليلا
يتأجّج الحبّ في صدورنا
كلّما اقتربنا من غابة الموت
نفكّر مليا بالأبد الضائع
كيف سنقضي الدّهور هناك؟
هل ثمّة من نعشق؟
هل ثمّة من جميلات
نكتب لهنّ رسائل قصيرة
على هواتفنا النقّالة؟
هل من جباة يطاردوننا
لدفع الضّرائب؟
هنا... الكلّ جباة،
والجباة..
لا يبتغون منك سوى المال
هل ثمّة «موديلات»
و»ماركات»
للسيارات الحديثة؟
هل ثمّة شوارع يتزاحم بها الناس..
والعربات .. والأشياء؟

***

النجوم تتجهّم مثلنا
النجوم تقف على الحياد
عندما تذبل الشجرة تردّ الهواء
عنها بإعياء شديد
عندما تخلو المرأة بنفسها تتربّع
فوق رابية السنين
وتغني ربيع ايام ضاعت
عندما يرشح صوتها الشجيّ
من بين حنايا روحي
تذبل كزهرة تفّاح
ويتبدد العطر من شفتيها..
لا احد يكترث بالزهور الذابلة
لا احد يعيرنا التفافة عندما نرحل

***

نزرع سهول ارواحنا بالسامين
ولا نقطف إلا البرد..
نعجّل في الوصول لكل المرافئ..
تحت السماء
نخبّئ مواعيد قدومهم
فيجيئون خلسة تحت عباءة الرّيح

حبائل الصيد تقطّعت
من منّا ينصب الشّراك
للعصافير؟
***
نبدأ بالآه
تخذلنا النخوة فننحني للملك
نحن من نجرّد الحياة ثوبها
نحن من نلوّث نقاء الصوت
***
ببساطة علينا فقط..
أن نكتب القصائد الجميلة
عن بغداد والمدن المحترقة
فقط..
***
قطار اصواتنا يعبر السهول
لا احد يلوّح لمّا عبرنا
لا غصّة في حلوق المودّعين
لا دهشة للغياب عندهم
على جبل آثامهم ننشر
دخان الغضب
ولا وقت حتى لحرق الاصابع
***

نتسابق الى الموت
كالفراشات الصغيرة
فيسبقوننا الى برية الله
نحن حطب المواقد
***
النسوة يعجنّ احلامنا
في معجن الايام
وينتظرن عودة أطفالنا
الدّاشرين الساغبين
في المدن والشعاب
والوديان..
والتّخوم...
والمدارس النائية خلف أسوار الحياة

نصوص قصصية

أغنيات عم الشاذلي

◆ يوسف سلامة

عم الشاذلي يمشي.. عم الشاذلي يجيء
عم الشاذلي يروح.. عم الشاذلي يغدو.
عم الشاذلي يرى.. عم الشاذلي يسمع.
عم الشاذلي هنا .. عم الشاذلي هناك.
عم الشاذلي بقربك.. عم الشاذلي حذوك.
عم الشاذلي خلفك.. عم الشاذلي قدامك.

عم الشاذلي العيون القريرة، المفتوحة. المتفتحة التي لا تنام.. تتبع خطاك، ترصد من خلف الزوايا والحنايا، والثنايا.

عم الشاذلي الأذن الصاغية. المنتبهة، تسمع، تتسمع. لا تفوتها لا شاردة ولا واردة.

عم الشاذلي.. ابن حومتنا.
عم الشاذلي.. ابن بلدتنا.
عم الشاذلي.. ابن جلدتنا.
عم الشاذلي.. من عشيرتنا.
عم الشاذلي.. منا وإلينا.
عم الشاذلي فرحتنا.
عم الشاذلي زهوتنا.
عم الشاذلي.. بسمتنا.
عم الشاذلي ضحكتنا.
عم الشاذلي قوتنا.
عم الشاذلي البلاد.
عم الشاذلي العباد.
عم الشاذلي البركة
عم الشاذلي الحركة...

***

آه، كيف لكم أن تتصوروا عم الشاذلي، مرفوع الهامة في مشيته، في وقفته، في سطوته، في تسلطه، في تسلطنه، في رأفته، في حنوه ......

عم الشاذلي وهذه التسمية التي ينادونه بها ؛ ولا تمت إليه بصلة وكل ما نعرفه ويعرفه المقربون منه، ممن جالسوه، وعرفوه، وتحدثوا إليه، رددوا ماسمعوه، وما سمعه جل الذين تداولوا على أماكن أمسياته واستراحات صباحاته التي يحرص دوما على الخروج إليها، فعدلوا ساعاتهم على مواعيد دخوله، ومواقيت خروجه.

جلس بمقهى رأس النهج، ينتصب في جلسته، يضع ساقا على ساق، يمسك بعصاه، يستند عليها في جلسة مخاصم ومحارب، يستند إليها في جلسة متأهب للقطع والحسم، فينادي كعادته اليومية:

– شاذلية العادة ياولد، قد قد،

فيأتيه بها نادل المقهى ، قهوة عربي تفوح منها رائحة الزهر، يأتيه بها متحذلقا مسرعا، ويضعها بعناية فائقة أمامه، بعد أن يكون قد مسح سطح الطاولة بخرقة بالية يخفيها دوما خلف ظهره، فلا يظهرها ولا يتفطن إليها رواد المقهى إلا متى كانت حاجته إليها...

فلا يكون من عم الشاذلي دوما إلا أن يكافئه بمسك عصاه ، ليقذف بها على مؤخرته صائحا:

– وينو كاس الماء.... يا مسخ... يا مهف يشيّح ريقك.

فلا يكون من النادل إلا الحرص الدائم على أخذ احتياطاته لتفادي ضربة عم الشاذلي، ولكنه لا يفلح دوما.... ليتسمر واقفا غير بعيد عن عصا عم الشاذلي، كمن يكون في انتظار ما سيسديه إليه، عم الشاذلي الذي يردف مخاطبا:

– أنت ولد صلوحة الدرباكة ؟.. قل لأمك تجيني حاجتي بيها.

ولكم أن تتصوروا عم الشاذلي وهو يغادر المقهى مرفوع الهامة والقامة في مشيته، يهم بالوقوف، وقد أخذ جرعة ماء، تملأ شدقيه سرعان ما يبصقها على الأرض، ملوحا بها فيتطاير رذاذها منتشرا

من حوله، كمن يبصق على الناس من حوله، بعد أن يكون قد مضمض، ليتخلص من أدران ما علق بفمه من بقايا....

يغادر المقهى ، يمشي التؤدة، متماسكا، متناسقا في أناقته، وفي مشيته رغم طوله، ممتلئ الأوداج، منتفخ الصدر، رغم نحافته، يتلفت يمنة ويسرة فتبدو أخاديد وجهه التي صفرتها السنون، مطبق الفكين والخدين، تعلوهما حمرة وعينان تتقدان والشارب مفتول مبروم ، فتدور الاعناق تهيأ وتهيبا... يلكز عم الشاذلي الأرض تتبع وقع خطواته، تدق الأرض دقا خفيفا دقات ساعته اليدوية موزونة متوازنة منضبطة صارمة وعصاه ما انفكت تتأرجح بحسب خطواته دقة فدقة فدقة.. تعدل جسده فيتماسك ويتوازن..

هذه العصا العجيبة الغريبة ليس له بها مغانم غير تأديبنا وتذوق لوعتها، وشد توازنه للوقوف مستقيما قائما.. والمشي متماسكا...

قال الفأر بوعميرة، عفوا الفأر بوطميرة:

- أنا لها، وانقض ينهش ويقضم وينخر ويأكل عصا عم الشاذلي بنهم بلهفة بشراهة بشماتة... فهل تراه يسقط ؟!

أين عصا عم الشاذلي.. عصا عم الشاذلي التي لطالما اكتوينا بها.. وهو يؤدبنا..

عم الشاذلي ابن حومتنا.

عم الشاذلي ابن بلدتنا

عم الشاذلي ابن جلدتنا

عم الشاذلي ابن عشيرتنا

يتهاوى.. يتثنى.. ينثني.. يسقط.. يتساقط.. يلتوي.. يتلوى.. ينهار.. يتمرغ.. يتسربل.. يتمدد.. بين.. بين الأرجل.

***

ملاحظة للسياق... في السياق

لن أحكي لكم عن كل تلك الأنواع المنوعة من الفئران في بلدتنا.. فئران نراها ولا نراها.. تمرق كالبرق.. فتجزم وتكذّب وتكذب.. فتقسم بأغلظ الأيمان أنك رأيت خيالها،، تتراءى لك، فتسمع ولا نسمع فحيحها، ولا خربشتها، على الأكياس، وتحت الفرش، والخزائن والأمتعة...

لن أحي لكم عن كل تلك الأنواع المنوعة من الفئران، من فئران بوطميرة، إلى فئران بوعميرة.. إلى تلك الجرابع، التي ترينا في كل يوم وفي كل حين العجب العجاب.

لن أحكي لكم عن كل تلك الأنواع المنوعة من هذه الفئران التي اكتسحت بلدتنا، لتأتي على الأخضر واليابس وكل أمر متحرك، من الفلاليس... إلى فراخ الطيور إلى الصابون، الى اللفت الى السكر... الى كل تلك الكتب القديمة التي لطالما خبأناها، واخترعنا ألف طريقة لحفظها والمحافظة عليها، فكانت لهذه الانواع من الفئران في بلدتنا خير وليمة تأتي عليها بلهفة، بنهم بشراهة بشماتة...

قال عم الصادق ولد لطيفة الحنانة برد الله سره بعد تجربة طويلة في اصطياد الفئران وطرقه التي استنبطها عن الاستحواذ على كل المحاصيل التي كانت تخبئها هذه الفئران:

- أخبث هذه الأنواع المنوعة من الفئران: فار بوعميرة، وقد أطلقت عليه هذه التسمية، بوعميرة، لأنه طالما عمّر، فعمر طويلا في هذه الربوع.

عـــــودة

◆ بسمة البوعبيدي

كلمات قليلة كانت كافية لتسقط تلك السماء الرمادية المثقلة بسحبها على الارض في تلك البلاد.. كانت كافية لتندكّ تلك الناطحات وتلك البناءات الشاهقة ولتتأجج النار في الثلوج المتناثرة وتحترق كل الاشياء.

كلمات قليلة بخطّ اختي قرأتها على عجل في ورقة صغيرة استللتها من الظرف بأصابع مرتعشة تشي بما كنت فيه من هلع وحيرة لا أدري سببها سوى انني حدست الكارثة...

(اخي العزيز كلنا في شوق اليك احضر سريعا : امك مريضة وتطلبك دوما ولا تكف عن ترديد اسمك..)

حقيبتي التي اعددتها على عجل تحت لهب نظرات زوجتي الغضبى وكلماتها المتشنجة المهددة كحالها دوما حين اعزم على العودة الى وطني واهلي ..خطواتي المتسارعة حدّ التهور قادتني الى المكان الكريه لقلبي...

كريهة هي كل المطارات ببرودتها وبرودة الأعوان فيها..

رائحة الدموع وطعم الوداع وألوان الكلمات الجريئة تتحشرج في الحناجر..كئيبة هي الاشياء كل الاشياء هناك..

ألوان المقاعد في قاعة الانتظار...

الزيّ يرتديه الأعوان..

الوجوه والكلمات والابتسامات..

وألوان الأبواب والنوافذ والجدران

مازلت اذكر ذاك اليوم الذي دخلت فيه اتعثر مثل هذا المطار.. كانت المرّة الأولى التي أخطو فيها في هذا المكان.. ماتت فرحتي بالسفر واكتشاف المجهول في بلاد النور والثلج منذ اللحظات الاولى.. أتممت الاجراءات العديدة والمطولة والتي بدت لي بلا معنى وصعدت درج الطائرة..

حين اخذت مكاني على المقعد ربطت الحزام بمساعدة المضيفة واقلع بنا الطائر العملاق... تداخلت في صدري أحاسيس شتى وأطبقت على ضلوعي حدّ الألم...

احتوانا العملاق في بطنه وحلق بنا عاليا فوق السحاب يجوب بنا افقا لا متناهيا..

اختطفنا من بين احضان الاوطان والأحبة ... من بين دموع الاهل والأصدقاء وأيديهم الملوحة.. تسللنا متباعدين تاركين افئدتنا والذكريات واحاسيسا جميلة لليال آمنة ودافئة وأيام مشرقة وحالمة.. أشياء عديدة ظلّت مخبأة هناك.. في نظرات العيون المنكسرة حزنا وفي ملوحة الدموع وخطوط تلك الأكف الملوحة..

مازلت أذكر وجهها الحنون وقد علته تجاعيد فوق تجاعيد ولوّنه ألم الفراق بصفرة وشحوب ..مازلت أذكر صمت الوداع وانطباق الشفاه عن الكلمات العاجزة في مثل ذاك الموقف..

دقات قلبها في صدرها المحترق كانت تصلني لهيبا يأتي على الاخضر واليابس في دموعها جمرات تذكي جحيمي باستمرار..

قالت كلمتين قبل أن تدلق ماء سطلها ورائي ثم تخنقها العبرة فتصمت.. كلمتان ظلتا طنينا في رأسي على الدوام.. قالت أي بنيّ بحق وجعي الآن وعجزي امام رحيلك لا تدع تلك البلاد تأخذك مني.. وبحق ما سأكابد بعدك ومرارة صبري عليك ألاّ تدع الموت يأخذني منك دون ان تودّعني..

ثم سال الماء ورائي واشتعلت قطراته تلسعني..

وها أني أعود الى قسوة المكان البارد... الى مطار يبتلعني طائره العملاق ليبزقني في الضفة الأخرى... ضفة كانت قد حوت احبتي ونعيم الدنيا يوما...

كنت أعلم انّ أمّي لن تكون في جموع المستقبلين كعهدها في المرّات القليلة التي استطعت فيها العودة طيلة كل هذه السنوات... لن يعبق المكان بعطر فرحها...لن يشرق بنور زغاريدها ولن يطرب بلحن اهازيجها..

كنت اعلم كل هذا ومع ذلك ظللت لحظة الوصول اقف مكاني اتفرّس الوجوه علني ارى وجه امّي من بينها، وظلّت أذناي تلتقطان الأصوات علّ صوت امي مندسّ بينها، وحين يئست جررت رجليّ والمكان يردد صدى شجن أهزوجتها....

في طريقي إلى البيت تحملني وتحمل همومي سيارة أجرة لم أستطع تصورها على حالتها تلك...

كانت طريحة الفراش ممددة تلفها الأغطية في عتمة الغرفة صوتها خاب في صدرها وعيناها شاخصتان الى السقف... اقتعدت كرسيا صغيرا بجانب أمي الممددة في فراش مرضها وسط عتمة يكسرها نور شاحب لفانوس منزو في أحد الأركان ووسط رائحة الأدوية تفتر حيناً وتقوى أحيانا وصمت موحش يكسره نشيج أخي الأصغر الذي ظلّ نشيجه متقطعاً يخبو ويعود بين الفترة والأخرى وحسب تطورات الوضع الصحي لأمي...جلست أرنو إلى الوجه الحنون ينهكه السقم ويعلوه الذبول أبحث بين قسماته عن تلك الأمّ التي امتلأت صحّةً وحبوراً يوماً...

عاد أخي إلى النشيج وكأنه أحس بما أنا فيه... ما زالت عيناه شاخصتين إلى السقف...كانت وكأنها تتجنب النّظر إلى ذاك الإطار المستقرّ وسط الحائط المقابل لفراشها. إطار قديم من الخشب،يحيط صورة في حجم متوسط لرجل تخطى الكهولة بقليل،ولكنه ظل يحتفظ بقوة وبأس تشي بهما نظارة في وجهه الممتلئ وبريق في نظرة عينيه..

والوجه المعلّق على الحائط كان لأبي ببشرته وشاربه الكثّ الأسود يطلّ علينا ويدقق النظر فينا وكأنه يسألني أو يسأل أمّي ما الأمر..

وأمي في شخوصها الى السقف أو في التفاتها ذات اليمين وذات الشمال بدت وكأنها تتجنبه وتهرب من نظراته كما كانت تتعمد ذلك دائما..

تقافزت أمامي صور مشوشة ...أمي طيبة ومستكينة..قوّتها في استكانتها في قناعتها ورضاها الدائم..

أمي لا تشتكي أبدا ويسع حنانها العالم بأسره وها هي بين الحياة و...وها إني اكابد العجز...مرّت ايام عطلتي عصيبة دون ان اشعر ودون أن تتحسن صحة أمي...

أكان يمكن ان أعود وأتركها في وضعها ذاك... تفيق بين الغفوة والغفوة فلا تجدني بجانبها.. وتظلّ تسأل.. وماذا سيكون الجواب؟ كان القرار صعبا.. ولكن حين طويت خطاب زوجتي الذي وصلني تخبرني فيه شامته عن قرار فصلي من العمل هنك نظرت صوب أمي فإذا بوادر للشفاء تعود بالتدريج إلى محياها، حينها فقط أحسست أن الحياة مقبلة علي تحتضنني في رفق من جديد وتعتذر لي عمّا فات..

حكايتـــان

◆ فيصل الزوايدي

1

الحكاية تبدأ في بيت صغير في قرية نائية .. كل البيوت فيها صغيرة .. في ذلك البيت انطلقت الزغاريد يوما .. القابلة تبشر ربّ الدار بمولود ذكر.. فرح الرجل حتى كاد يخرج من ثيابه ويفقد عقله.. إنه الابن الذي انتظره بعد خمس بنات وولد مات عند الوضع .. منح القابلة مبلغا كبيرا أطلق لسانها بالدعاء للمولود بطول العمر.. أقام الأب الولائم أياما طويلة وملأت الطمأنينة قلب الأم فجالست النساءَ المهنئات بسعادة ظاهرة وفرحت الأخوات بأخيهن فتخاصمن للفوز بحظ رعايته ..

كـبر الطفل .. كمـا طلب والـداه ودعيا كثيرا في أدبار الصلوات .. فشاكس الصغار والكبار

و أزعـج الجميـع بصـياحه وتعلم مبكـرا بذيء الكلام واستمرأ افتكاك لعب أخواته بل وسرقة أموال أمّـه التي تحفظها تحت الوسـادة ثم تحت الحشـية فبين طيات الأغطية الصوفية فوق السدة ..

في ذلك اليوم عاد الصـبي إلى البيت فزعا باكيا ينفض يده برعب ويصيح: عقرب .. عقرب ..

أسـرع أبوه من داخل الدار وحمله بسـرعة إلى المستوصف البعيد والوحيد في تلك الناحية..

الطبيـب متأفف متذمّر دائمـا. فهو لا يخجل من التعبير عـن غبنه:زملاؤه يعملـون في مناطق جميلة ويحظون بالإعمال الإضـافية ومكاسـبها الكثيرة .. إضـافة إلى الغيد الحسـان اللواتي سيتباهَين برفقة طبيب شـاب وأعـزب .. هكـذا كان يفكـر .. لذلك لم يهتـم يوما بهـؤلاء الذين يأتون إلى المستوصـف ، تفـوح منهم روائح الأعشـاب الجبلية وزيت الزيتون .. يعاملهم بفظاظة

و اسـتعلاء ولا مبـالاة .. يستبشـر أحيانا بمقدم صـبيّة ثم يُفاجأ بأب صارم يرافقها أو بأم متمرسة بالحياة لا تفارقها..

زاد تذمّـره قبل أسـبوعين عندما غـادر الممرض الـذي كان يعمل معه، فقد وسّـط قريبا له فنقله إلى ولاية على حدود العاصـمة.. يزداد تذمّره أكثر كلما دخـل أحدهم المستوصـف صـائحا مثلمـا فعل هذا الرجـل وهو يدخـل فزِعا بابنـه ويصـيح : ولدي يا دكتور.. لدغته عقرب .. أنقذه أرجوك ..

أمـره بلامبالاة أن يضـع الصـبي على سـرير الكشف ثم قام بتثاقل ، فجسّ المصاب بسرعة وقال ببرود : لا نسـتطيع فعل شـيء له .. لقد تأخرتَ في القدوم به ..

صاح الأب وتوسّل إلى الطبيب أن يفعل شيئا دون جـدوى ثم وقع بجـوار ابنـه يتابعه وقد شـحب لونه وابيضت شفتاه وعيناه نصف مفتوحتين ..

مات الصبي بعد احتضار قاس فحزن الأب حزنا عميقا جارحا أخرسـه عن الكلام وبكت الأم وبناتها بحرقة حتى أشفق عليهن كل من سمع الحكاية ..

مهلا .. مهلا..

هذه الحكاية لا تنتهي هكذا..

لم يحزن الأب ولم تبك الأم ولا بناتها.. ببساطة لأن الطفل لم يمت ..

توجد زاوية أخرى للحكاية ..

في مدينـة كبـيرة و بعيدة .. قبـل يومين من لدغ الصـبي .. في مكتب مـن مكاتب إحدى الإدارات سـلّم موظفٌ جامد الملامح فتاة جالسة أمامه وثيقة وأخبرهـا: لقد تم تعيينك في قرية كذا .. أسـرعي إلى هناك قبل ثمان وأربعين ساعة وباشري العمل وإلا اُعتبِرَ تعيينك لاغيا ..

2

أسرعت الفتاة إلى بيتها ثم إلى القطار فسيارة أجرة ثم عربة نقل ريفي.. وقفت أمام المستوصف مرتبكة ودخلت لاعنة حظها الذي جاء بها إلى هذه المنطقة النائية ..

الطبيب فرح برؤية الفتاة واقفة أمامه بمفردها، وفرح أكثر عندما أخبرته أنها المرضة التي ستعمل معه، وفرح جدا ،ولكن أخفى ذلك، عندما أخبرته أنها عزباء ..

بدأت المرضة في هذا اليوم العمل وكان الطفل الملدوغ أول حالة تأتي إلى المستوصف والطبيب يسعى للظهور أمام المرضة بمظهر حسن لاجتذابها.. بذل جهدا عظيما لعلاج الصبي فكشط الجلد وحقن الأمصال وبعض المضادات في مواقيت بعينها وظل يتابع الحرارة وضغط الدم بحرص واهتمام رغم تعبه .. المرضة حذوه تساعده وتمدّه بما يحتاجه من أدوات بسرعة وخفة وإعجاب ..

بعد لأي أشرقت أسارير الطبيب والتفت إلى المرضة ثم إلى الأب المكدود وبشّرهما بنجاة الغلام ..

عاش الصبي كما توسّل أبواه باكيَيْن في ذلك اليوم .. كبر.. مع الأيام يكبر وتكبر معه الهموم التي يثقل بها عائلته من سرقة أموال أمه إلى ضرب أخواته وافتكاك أشيائهن وأبوه يعاقبه في البداية دون جدوى ثم كبر أكثر فأزعج فتيات القرية بمعاكساته الوقحة واشتكاه بعض الآباء عند أبيه الذي أصبح يلازم الصمت منذ أن تمرد ابنه عليه، بل وأصبح يصيح في وجهه ويهدده بالضرب إن حاول تأديبه .. وأصبح الابن يعود إلى البيت مترنحا من سكره فيضرب ويشتم بل دعا أصحابه مرارا للمنادمة في بيته وطالب أخواته بحضور مجالسه لخدمته وأصدقاء السوء ..

كان الأب يجلس في ركن الدار حزينا حزنا عميقا جارحا أخرسه عن الكلام والأم وبناتها يبكين بحرقة حتى أشفق عليهن كل من سمع الحكاية..

قلّام الأظافر

◆ مبروك صالح المناعي

انتشرت أشعة الشمس في كل مكان فصارت الرؤية واضحة وضوح الغزالة وابهر الضياء العيون حيث أضحى شعور الورى شاعريا.. وبدأت الحرارة ترتفع في ضحى الاحد من نهارات أوسو حيث تتسارع أيام جويلية كأنها تذكر المصطافين بما جاء في الحكمة الشعبية من أقوال الأجداد : الصيف ضيف!

ما إن استفاق الشاب الوردي على انتشار الضياء حتى فكر قبل أن يفتح عينيه في السباحة : يجب أن أسرع الى الشاطئ لانعم بالسباحة وأقوم بالتجربة في مجال هواية... بل استجابة للهاجس الذي ظل يسكنني منذ سنين.

الوردي شاب موظف محترم بمؤسسة شهيرة مستقيم في حياته ومحافظ في سلوكه عمره نحو الثلاثين حولا يعيش في جوّ أسري هادئ، لم يتزوج بعد.. خطر بباله أن يقوم ببادرة عجيبة حيث قا في نفسه سأذهب الى شاطئ البحر ومعي مقصاتي، سأتجول بن المصطافين وكلما لاحظت لدى أحدهم أظفارا مهملة، بأصابع الأيدي أو الاقدام، سأعرض عليه خدمتي لأقلمها له.

منذ مدة كان الوردي ائدا من تونس العاصمة الى بيته بضاحية جنوبية، اقتنى يومها من نهج زرقون ثلاثة مقصات لتقليم الاظافر في أحجام مختلفة من صغير ومتوسط وكبير، تأملها متفكرا: هذا المقص الكبير لاظفار الاقدام وهذا المقص المتوسط لأظفار الأطفال.

عاد يومها في الحافلة فكان نظره يتنقل من شخص الى آخر، يتأمل أظفار أيدي الركاب. ركز النظر على أظفار يد فتاة وهي تمسك بالمقبض، كانت مدهونة بلون أسود مثل الذي لونت به شفتيها. وظل يراقب أظفار الايدي المتعلقة بالمقابض فلمح أظفار يدي مسن غير مقلومة بدت مهملة ومتسخة فتمتم : هذه الأظفار في حاجة ماسة وأكيدة لمقصي ذي الحجم المتوسط. ظل يلاحظ اختلاف الاظفار ويقارن بينها فعادت به الذاكرة الى عهد الطفولة في مرحلة الكتاب قبل أن يدخل المدرسة. كان بجانب زوج أبيهوهي تقلم أظفار يديها بمقص تقليدي فقال لها مازحا: «سيقع اختراع مقص خاص لتقليم الاظفار مقوّس الشفرة في شكل هلال يناسب الأظفار في أشكالها». بعد سنوات ظهر ذلك المقص الحديث. سمع اثنين خلفه يتحادثان والحافلة ترتفع وتنخفض فهتف أحدهما: كلمة عليها ملك... وكلمة عليها شيطان!.. وهو يتقدم بين الركاب فصدمته أظفار يد فتاة، تركتها صاحبتها طويلة مدببة، إنها تمثل رمزا أكثر منه وسيلة للدفاع عن النفس في حالات التعرض للاعتداء حيث تتحول مخالب للتصدي، لكنها لا تتصدى لوخزات الحافلة المتكررة.

بعد الكتّاب دخل الوردي المدرسة حيث أنعم المولى على أبناء القرية وأطفال ريفها بمرب كاد يكون رسولا، من جملة خصائصه أنه كان يتعهد دوريا أظفار أيدي التلاميذ. لكنه أبدى ملاحظة ذات يوم حين قال: «هذه أظفار الأيدي أطلع عليها دوريا... أما أظفار الأقدام فالله أعلم بأحوالها!..»

قبل أن يتجه الوردي الى الشاطئ فكر في التجول بن المقاهي، سيقوم بالوظيفة الطريفة الخيريج في الاماسي حيث تكون أقدام الناس في ... سيلاحظ الأظفار المهملة وسيقترح على أصحابها التقليم.

حين عزم على القيام بهوايته فقصد أول مقهى شعر بحرج كبير في مفاتحة أي شخص في الأمر فعدل عن الفكرة وقرر أن يقدم خدمته الى المصطافين على شاطئ البحر.

مرت تلك الخواطر بذهن الوردي وهو يسرع في تناول فطور الصباح لينطلق الى الشاطئ.

أعد ما سيحمل وفي مقدمتها مقصاته الثلاثة، جمع لوازمه في الحقيبة وتحول بسرعة الى محطة الحافلات حيث استقل الحافلة رقم 54 ثم نزل بمحطة سيدي رزيق ولبث ينتظر القطار فقابلته أسراب النورس تتطاير فوق البحيرة ويظهر خلفها حزام الضاحية الساحلية الشمالية تعلوها ربوة سيدي أبي سعيد.

لم يكن بالمحطة كثير من الناس فما لبث أن سمع دوي القطار ثم تتالت صفاراته وهو يطل من مقرين.

ركب إحدى العربات فوجدها مكتضة بالركاب من أسر عديدة معها الاطفال يصخبون ويمرحون، انتحى ركنا بصعوبة وأخذ يراقب أظفار الأيدي المسدولة أو المتعلقة بمقابض الأعمدة الافقية والعمودية.

بعد ربع الساعة تقريبا نزل بمحطة الزهراء وتوجه فورا الى الشاطئ. في البداية لم يفكر في السباحة بل سحب مقصاته الثلاثة وتقدم يتأمل الوجوه حيث وجد شيخا جالسا تحت مظلة على كرسي بلاستيكي أبيض مريح وحوله أمتعة أسرته، التي راح أفرادها يستحمون.

نظر الوردي في يدي وقدمي الشيخ فرأى أظفاره طويلة مهملة ومتسخة. أخذ مقصه ذا الحجم المتوسط وتقدم من الشيخ وخاطبه في أدب:

- لو تسمح يا عمي... أريد أن أقلم لك الأظفار !

بهت الرجل في الأول ثم رد معتذرا:

— العفو يا بني... لاتشغل بالك... سأقلمها لاحقا.

فعقب الوردي:

- أرجوك أيها الأب العزيز... اسمح لي ... إنها رغبة خيرية... رحم الله والديك اسمح لي لتقليم أظفارك...

فاستسلم الشيخ للأمر!

انحنى الوردي فبدأ بتقليم أظفار اليدين ثم قرفص على الرمل وأخذ يقلم أظفار القدمين. وإذا بأفراد الأسرة يعودون يسبقهم الأطفال راكضين وكلهم يتقاطر ماء. بهتوا جميعا لوجود الشخص الغريب لدى الجد واستغربوا أكثر لما يصنع.

تقدم أب الأسرة من الوردي وهتف مرحبا:

- أهلا... أهلا وسهلا!..

ونظر في وجه أبيه مستوضحا بالإشارة فأجابه:

- إنه شاب لطيف أصر على تقليم أظفاري!

ما إن فرغ الوردي من خدمته فرفع رأسه واستقام حتى فوجئ بسمكة خرجت من توا تتقاطر لآلئ تلتمع بعامل أشعة الشمس المتوهجة.

انتصب إزاءه وجها لوجه مستطلعة معجبه مستغربة وكذلك مبتسمة مستبشرة مشرقة متلألأة من خلال ثلاث ورقات، اثنتين على الصدر والثالثة على العانة.

لبث مبهورا مأخوذا متهوا حين انتشله ن ذهوله صوت السيد المحترم مفاجئا:

- تفضل...! ويده تمتد نحوه لتسلمه دينارا يوم كان الدينار ورقة خضراء في لون الشجرة المباركة!

فوجئ الوردي فانتفض راقصا معتذرا:

- لا والله ... إني خدمت الشيخ لله وفي الله... !

هنالك امتدت يمنى الغادة نحو الشاب متوسلة:

- يعيشك... آنا... زادة... قصلي ظوافري!

نهرها والدها مزمجرا:

- يزي احشم... خديم عندك هو ؟..

اعتذر الوردي بلطف وانسحب برفق متصامّا للنداءات، ثم رمى بمقصاته في اليم وانطلق في قرار حاسم للتخلي نهائيا عن ذلك الهاجس وعن تلك الخدمة!

بنات الحيّ أنّ أباكما

♦ المحسن بن هنية

في الأيام التي عاش فيها الحاج نفزاوي وبنتيه فاطمة وعائشة كان قد علم أن اللغة من أهم العلوم التي يتسابق فيها الناس الذين يظهرون تميزا أو وجاهة أو ما يسمى في أيامنا هذه بالمثقفين أو النخبة. لهذه الدواعي إلتزم الشيخ النفزاوي بالاجتهاد في حذق العلوم اللغوية نحوا وصرفا. ثم معان ومدلولات . وكرس جانبا من جهده لتنشئة ابنتيه على هذا العلم وكان يلزم نفسه أن ينطق الا بمعاني القرآن الكريم، كأن تسأله مثلا :

«كيف حال الأيام.. هذه المدة؟ »

فيجيب:

«تلك الايام نداولها بين الناس»

هذا الالتزام وهذا الولع دفعه أن يمضي وقته الذي يتواجد بالبيت . لتلقين عائشة وفاطمة فنون اللغة وخفايا دلالاتها، وما تحمله كل كلمة من معنى مستتر. فبدل اسم ابنته من فاطمة الى فاطنة بغاية نعتها بالفطنة التي أظهرتها. ومن أمثلة دروس اللغة التي كان يناقش فيها ابنتيه هذين البيتين الشعريين وطالبهما بتحليل الخافي من معانيه.

قالت: متى الضغن يا ترى ؟
قلت غدا أو بعد غد
فبكت نرجسا
وسقوت وردا
وغضت عن الناب بالبرد

استحسن جواب فاطنة التي شرحت:

يا أبتاه لقد فهمت المعنى هكذا»:

القائلة هي الحبيبة التي علمت بسفر الحبيب. فسألته عن موعد رحيله، ولما أعلمها بقربه أي غدا أو بعد غد، سال الدمع تألما وتأسفا على الفراق القريب. سال كحبات اللؤلؤ من العين التي هي كزهرة النرجس، لتسقي في انحداره على الوجنتين لون الورد، ثم الأسنان المشار لها بالبرد وهي تعض ألما على الشفاه التي تحاكي لون العناب.

الحاج النفزاوي الى جانب علمه كان كثير السفر بحكم اشتغاله بالتجارة. ومهنته هذه تحتم عليه الغياب والترحال ولم تكن في أيامه وسائل نقل غير الخيل والبغال. وكان يؤمن بأنه مسير في ما اختاره له الله ومخير في ما يفعله هو ويختار ... فحصل له من شر الناس ما يؤمن أنه من شرهم وليس مما كتبه الله عليه. وكان يؤكد لمحدثيه وحتى بناته أن الشر من فعل الناس هذا إنه ضرب من الظلم، والظلم حرمه الله على نفسه. ويفسر أن علم الله بوقوع الشرور شيئا سابقا في علمه لاعتبار أن الخالق هو خارج الزمان وخارج المكان وسابق الأوان، أي أنه علام الغيوب أي حاضرا عنده ما مضى وما سيأتي... ويقول إن المرء الذي يرتكب خطأ وظلما هو الذي ظلم نفسه لان الله نهاه عن الظلم والشرور. قلنا حصل له شر وذلك عندما كان مارا بإحدى الطرق الجبلية فخرج اليه عندئذ قاطع الطريق فأراد أن يسلبه أمواله ... وأمام غلظة قاطع الطريق هذا... أراد أن يقول له ويقنعه بأنه يرفض أن يسلمه ماله طواعية أو خوفا من بطشه، ففي ذلك إلقاء بالمال الى السفهاء وهذا منهي عنه شرعا والصواب هو الدفاع عملا بما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من مات دون ماله فهو شهيد.. لكن اللص سخر منه وصرعه أرضا» وقال له :

ـــ ... أيها الشيخ الاحمق... يبدو أنك ترغب في الشهادة... وكما ترى أنها بذائبة سيفي هذا ... ولكني قاطع طريق شهم سأسمح لك بالنطق بالشهادتين...»

- أيها اللص الشهم أشكر لك صنيعك فالنطق بالشهادتين قبل الموت مفتاح للجنة وأنت الآن تغدق

على ما لم أتحصل عليه من أي كان حتى لو دفعت لك مالي كله.. فأنت ستمنحني الشهادة، وهكذا أحشر يوم القيامة مع الشهداء والنبيين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين..»

ازدادت سخرية قاطع الطريق وأمعن في التهكم والشيخ ملقا على الارض ينتظر طعنة السيف فخاطبه ساخرا:

ــ .. بدون شك ستكون من أعيان الجنة ومن المقربين.. ولذلك سأسرع في إزهاق روحك وطردها من عذاب الدنيا إلى نعيم الجنة.. فهل تزدني شيئا وتغدق علي من مالك الكثير.. فلعل الذي معك لا يعادل فضلي عليك».

هنا تصنع الشيخ الرضا بمصيره بل وهو يعلم أنه هالك لا محالة.. فحز في نفسه أن يفلت هذا المجرم من العقاب فأضمر في نفسه الحيلة.

ــ «أرى أنك تسخر... وأنك تشك في اعترافي بفضلك وأنا أقول لك ما قال ابن آدم لأخيه: «لئن بسطت يدك إلي لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك . ولم يكمل الآية بل توجه إليه بالمدح... »

ــ أيها الرجل أنا أدرك أنك ضحية ظروف وخصاصة.. ولو لا ذلك ما سكنت هذا الجبل أو امتهنت هذا الفعل.

ــ دع عنك المواعظ وانطق بالشهادة فليس لي وقت للمزاح وان لم تنطق ستضيع الجنة منك.

ــ اسمح لي بكلمات قليلة ثم اقضي ما أنت قاض....

ـ تكلم بسرعة قبل أن أجهز عليك.

ــ تعاهدني أن تتخلى عن فعلك هذا. أنا لا أطلب منك انقاذ روحي... فأنا الآن اشتم رائحة الجنة.. ولكني أريد درجة أعلى هي أن أحملك وصيتي والتي فيها تمكينك من أموالي والزواج من إحدى ابنتي فاطمة أو عائشة فليس لهما من بعدي عائل منفق.

ــ قلت لك انطق بالشهادة.. هيا حالا.. واصل الشيخ النفزاوي سرد وصيته.

ــ يا هذا .. اسمع قولي.. اذا دخلت في المدينة وسألت عن منزلي فلا تأتيه من بابه الأمامي .. بل ادخل من بابه الخلفي واحذر عيون الناس حتى لا يرتابوا في أمرك... ثم اسأل عن فاطمة. وقل لها هذا الذي يجعلها تستمع للوصية .. التي بموجبها تتصرف في أموالي وأملاكي وتسهر على ابنتي والتي ستكون فاطمة لك زوجة.

ـ ماذا أقول لها.... ؟

ـ حدثه بالوصية قبل أن يجعل اللص ذائبة السيف في صدر الشيخ ثم جره بعيدا عن الطريق وألقى به في جرف... حتى تنهشه الوحوش والكواسر. واذا عثر على عظامه قد يفهم أنه سقط في الجرف فدق عنقه وتحطم نخاعه فمات هكذا.

الايام تمر متجهمة على بنتي التاجر الغائب توحي أن خلف ثقلها وتجهمها نذيرا بالفزع، وسوء المنقلب غير أنهما تلتجئان الى ترديد «الغائب حجته معه» ويدعوان اللهم أجعله خيرا. ولكن ذخيرة الصبر بدأت تنفد والظنون تنزل بساحة البنتين كطعنات الرماح.. ،خاصة أن الحاج نفزاوي ليس في عادته الغياب طويلا.

في أحد الايام بعد العصر سمعت فاطمة طرقة على الباب الخلفي فأوجست في نفسها وامتلأت نفسها فزعا. ودار في حدسها أن الطارق يحمل خبرا ما. ولما فتحت كوة في الباب تسمح برؤية الطارق وحتى الحديث معه بدون أن تسمح له بالاقتحام.

ـ من الطارق... وما حاجته...؟

ـ غريب يحمل وصية من الوالد.

ــ أفشي السلام وقل خيرا... قمنا عليك السلام...

ــ الوالد يقول عني «لأنت موسى حتى وأن كنت أنا لست شعيبا

ــ اذن ظلمت نفسك ... ثم غفر لك ربك ... فأهلا بك وسهلا ... وما الوصية أيها الكريم ؟

سر الرجل بجواب البنت وأعجب بلباقة لسانها، وان كان لا يفهم مقاصد كلامها. ثم حاول تلاوة الوصية التي حفظها وجعل منها غاية فإن استقر له الأمر فسيكون زوجا لهذه التي أعجبه كلامها وهو دليل على حسن خلقها ورجاحة عقلها.

ـ يا سيدتي ابنة الحسب والنسب والرجل الفاضل الذي أوصاني أن أهتم بمالكما والانفاق عليكما ...

وتعهد أن يزوجني فاطمة. وكان يستعمل «أنكحك إحدى ابنتي»

- إن أوصاك الوالد العزيز بما يدل على صدقك يكون البر به وقبول أمره وإكرام رسوله... والوفاء بوصيته.

كانت فاطمة تضمر في نفسها شكا وان الرجل جاءهما بدافع الطمع وأنه غادر ولكن لم تبدي في كلامها شيئا من هذا القبيل

- يا سيدتي أوصاني أن أقول لكما هذه الكلمات مؤكدا لي أنكما ستفهمان قصده... وتنفذان رغبته حتى قبل عودته التي قال إنها قد تتأخر لأنه بعد أن أوصاني أسر لي أنه يعتزم زيارة قبر النبي ليقوم بالحج.

فاطمة أحست أن الرجل لا يقول الحقيقة وأنه يقول إفكا وبهتانا ولكنها تصنعت مجاراته وطمأنته حتى يقول كل شيء ثم ردت عليه:

- ... نحن نشكر لك هذا الوفاء ... ولكن بعد لم تقل الكلمات التي أوصاك بها... ؟

- صحيح... صحيح... لقد قال لي بعد أن دلني على حيكم... ثم وصف لي منزلكم... وأمرني أن أتسلل الى الباب الخلفي حتى لا يشعر بي أحد وهكذا كما ترين إلتزمت بأوامره.

- ماذا قال لك ؟

— قال: قل لبنتي يا بنات الحي أن أباكما ثم أعلمهما بأمر رعاية المال وإنفاقه عليكما... ولأكون فردا من العائلة وأن أتزوج الراغبة منكما في.

كادت فاطمة تسقط مغشيا عليها إلا أنها تجلدت وتماسكت وقد أدركت لماذا أرسل الوالد هذا المجرم الضال. وقد فهمت أن القصد من الحي ليس الحومة و«أن» ليست حرف النصب، وإنما المعنى هو الذي كان حيا قد أن صريعا. وأن الغريم قد أتى ليلاقي حتفه.

ازدادت فاطمة تجلدا وشجاعة وتماسكا وهي ترد على الغريب:

- ... صدقت يا سيدي... صدقت يا سيدي. فهذا كلام الوالد. وقد فهمنا «قصده» ولولا المحارم واتباع السنة لدعوتك الى داخل المنزل ثم لا حتضنتك وقبلتك، فاسمح لي بالانتظار حتى أدعو أحد صبية الجيران ليكون معك... وحتى لا يقال إن ابنتا الشيخ النفزاوي... استضافتا غريبا في البيت وهما بمفردهما... سيدي لا تؤاخذني في تصريح هذا فهو من الشرع... وأطلب منك أن تصبر بعض الوقت حتى ندعو صبيا أو سيدة كبيرة لتكون معنا... المعذرة فأنت ضيف الحاج النفزاوي... وستكون صهره إن شاء الله قريبا.. دعني آمر شقيقتي بالقيام بهذه المهمة ... وسأعود إليك لنواصل الحديث. ولاشك أن سماحة والدي وكرمه هما اللذان دفعاك لفعل هذا الخير وهذا الجهد.

عائشة كانت قريبة منهما... كانت واقفة وهي تختلج وترتعد... من هول إدراك حقيقة هذا الرجل. فأمرتها أختها أن تدعو بعض الأشداء من الجيران فيقبضوا على القاتل. ثم عادت فاطمة لتحادث الغريب ترغيبا وطمأنة... إلى أن حضر نفر منهم من حرس خلفية البيت احتياطا من انكشاف الأمر. وآخرون دخلوا واختبئوا في زوايا البيت وكان معهم صبي صغير جاءت به عائشة حيث تقف فاطمة وهي مستمرة في محادثة الغريب.

فتحت فاطمة الباب وهي تتصنع الخجل والخفر ومعها الصبي...

- تفضل سيدي... تفضل ياضيف أبي وصاحب الفضل علينا.

تقدم الغريب وهو يكاد يطير من الفرح. ثم دعته فاطمة الى غرفة الجلوس ثم سعلت قليلا وفي لحظة برز من كل جانب رجل أشد، كل واحد متسلح بهراوة وخنجر وبسرعة البرق وضع أحدهم الخنجر في عنق الغريب الذي عقدت المفاجأة لسانه. وذهبت بعقله وبنفس السرعة إلتفت القيود حوله لانهم يدركون أنه خطير ويحذق الفتك والمصارعة ولكن أنى له أن يتحرك وقد أحيط به.

تقدمت فاطمة والشرر ينبعث من عينيها وهي تشرح الموقف بصوت قوي فيه حقد شديد.

أيها القاتل الغبي... الساعي إلى حتفك بظلمك... فسلاح العلم أشد من السلاح الذي في يدي جاهل فعندما قال لك والدي إنك

لموسى... هي إشارة الى أنك قاتل، فموسى قتل نفسا ثم تاب الله عليه... وإذا ذكر والدي شعيب لأن موسى هرب إليه من ظلم فرعون فأنكحه إحدى ابنتيه لأنه كان أمينا أما أنت فجئت طامعا متزايدا من الشر وغايتك الاستحواذ... أما «يا بنات الحي أن أباكما» فإن المعنى الذي غاب عنك هو يابنات «يا» أداة نداء تعني التنبيه والاستنهاض وإن بدت كأنها تابعة للحي فالصواب هو - الحي أنّ - ليس القصد الضاحية أو الحومة وإنما أنّ الحي بتقديم الفاعل على الفعل والذي نستنتج أن الحي يعني الذي كان حيا أنّ حتى مات من ألم الأنين.

وهكذا أيها الجيران الأعزاء تهيأ لي أن الغريم قد أتى وأنا ابنه الحاج النفزاوي لا أطلب منكم قتل القاتل وإنما عرضه على القاضي ليقضي فيه بالحق.

هنا صرخ المقيد....

ـ لا أطلب العفو... لا أطلب الرحمة... والله فعلتها... وقد كنت فظا غليظا أحمق وكافرا وها أني الآن أحقر من شعرة في مفرق هذه البنت الفاطمة صاحبة العلم والفهم، فلكم عنقي اقطعوا رأسي الفارغ من الخير والمحشو بالطمع والشر....»

سفينةُ الحريةِ

"قصة قصيرة جدا"

◆ محمد علي الهاني

وضع على عينيْه نظّاراتٍ خضراءَ؛ فاخْضرّتْ في السّماءِ غيْمةٌ حُبْلى... تأمّلها ثمّ أوْمأَ إليْها؛ فابْتسمتْ في وجهِهِ...

أرْسلَتْ خيْطًا من عِطْرٍ؛فتعلّق به ثمّ استلْقى فوقها...ولّما أمطرتْ، سقطَ حَبّةَ بَرَدٍ رفعتْها سفينةُ الحريةِ؛ فاسْتوتْ حمامةً بيضاءَ تحملُ في جَناحِها الأيْمنِ أغْصانَ زيْتُونٍ خضْراءَ للأخِلاّءِ الأصْفياءِ، و في جَناحِها الْمُضرّجِ بِدِمَاءِ الحقْدِ والبَغْي أعاصيرَ و براكينَ وزَلازِلَ للأعْداءِ الألِدّاءِ.

عندما تجوع اليرابيع*

◆ الناصر التومي

حدث منير الككلي قال:

سنة أولى في الجامعة تنفست الصعداء، بيت جديد، ومرحلة دراسية مختلفة. التحقت ببعض الأصدقاء ممن سبقوني في النجاح أثناء مرضي، انتقل بعضهم إلى السنة الثانية، والبعض رسبوا، فوجدت نفسي بينهم.

لما علمت اليهودية سارة بنجاحي في الباكالوريا بعثت لي بثياب جديدة وبعض المال، وانهالت علي الهدايا من بسمة صاحبة الماخور وجميلة، وصالح القصادري، وحمدة السايس، ومن منصور الصحافي، وحتى من المخنث فوزي وحسن الجبالي، وبكت والدة كلثوم وهي تحتضنني، بينما كانت ابنتها تزيل دموعها خفية.

شغلت نفسي في الصائفة نصف النهار الأول مع منصور الصحافي في بيع الكتب القديمة، أما المساء فأتجول في المدينة التي لا أكاد أعرف منها إلا القليل كنهج الباشا، باب الجديد، باب السويقة وباب الخضراء، وتهت عديد المرات فأهتدي بالسؤال. يوم الأحد أختار إحدى الضواحي لأستجم، كان همي الترفيه على النفس ما استطعت قبل بداية الدروس الجامعية.

المنحة الجامعية كانت البلسم الشافي لي ولوالدتي، أقتطع منها جزءا لمصاريف البيت، ولكني أحسست بعد أشهر أنه لم يتغير شيء، لا من ناحية المأكل ولا فيما يتعلق بالأثاث، ولما استفسرت والدتي عن ذلك، دفعت لي بدفتر ادخار باسمي وضعت فيه كل ما قدمته لها، وأشارت علي أن أواصل إيداع نسبة من المنحة بهذا الحساب، ولا حاجة لتغيير منهج الحياة بالبيت، فهي تحافظ على النسق المعتاد الذي دأبت عليه منذ سنوات، ثم إن مخدومتها اليهودية تكرمها مثلما كانت تفعل سارة صاحبة الشقة التي نقيم فيها.

في الجامعة بدأت تنفتح لي آفاق جديدة، شبان وبنات من طبقات اجتماعية مختلفة، أبناء ذوات في السلطة، أثرياء مؤسسات الصناعة والتجارة، وفيهم الفقراء من المدن والأرياف. حاولت قدر الاستطاعة تجنب الصداقات مع أي صنف، حتى أسخر كل أوقاتي للدراسة، وأتجنب المفاجآت التي قد تعكر صفائي في عالمي الجديد. لكن ذلك لم يدم طويلا ، فسرعان ما سحبت دون إرادة مني إلى مجموعة لم أعمل على رفضها، خوفا من ردة فعل قد لا تكون في صالحي، ومن بينهم الطالبة زينب التي أعجبت بجمالي ونباهتي في الدراسة، وهدوئي، حيث ما كان يصدر عني قول، ولا رأي، ولا تعليق على أي خطاب، وفي صورة قصوى أبتسم. ولعلها ظنت أنني من أولئك الواثقين من أنفسهم، ممن لا يهزهم الخطاب العادي أو الهزلي الذي يكثر بين الطلبة أثناء أوقات الفسحة.

حاولت الاستجابة لتوددها، وبوحها لي بأسرار لم تبح بها لغيري، والاختلاء بي بعيدا عن المجموعة، وتنتظر مني اعترافا بمبادلتها إعجابا بإعجاب، فلم أزد عن الإنصات إليها، وأكون طوع يمينها كلما سحبتني إلى المطعم الجامعي أو المكتبة، وتجرأت مرة وصارحتها بأنها لا تزال في أول الطريق، والارتباط العاطفي قد يعرقل مسيرتنا الدراسية التي تمتد إلى أربع سنوات، ويمكن تأجيله إلى ما بعد التخرج، لكنها لم تر في اعتراضي ما يرضيها فقالت:

ـ لكن أثناء هذه المدة قد تصادفك طالبات غيري يأسرك جمالهن، أو جاههن أو ثراؤهن فتتنكر لي؟

ـ وما العمل إذا؟

ـ أن يعلم جميع الطلبة أنك لي.

ـ ولما لم أكن أرغب في أي علاقة مع أي فتاة، ولا الدخول معها في صدام أنا في غنى عنه، جاريتها،

تـاركا للزمـن تغيـير الحـال، لكنها لم تكتـف بهذه الصـداقة أو هـذا الارتباط الشـكلي في الجامعة لا غـير، بل تدعوني إلى مرافقتها للتنزه، أو مشـاهدة شريط سينمائي بإحدى دور العرض.

في خضـم الأحـداث التـي وقعـت لي بداية من اغتصابي من قبل زمردة، مرورا بمرضي العصبي، لم أعـر انتباها كبيرا لإشـكالية عـدم التجاوب مع الأنثـى، ولعلـي اقتنعـت بـرأي الطبيـب المعالج لي بالمستشـفى، الـذي أرجـع هـذه الحالـة إلى عديد الأسـباب، أهمها ضـعف البنية منذ الصغر، وعدم الاختلاط بالأطفال في البداية، والشـبان في مرحلة ثانية، ممـا انجـر عن ذلك وحدة قاتلة، وإحسـاس بالـدون، وعـدم الكفـاءة، فالخوف من كل شـيء، وبذلك تعطل في جهاز التفحل، وكان لا بد من تغيير لكامل الوضـع، بالانتقال إلى مسـكن آخر خال من الرطوبة، والفسـحة قدر الاسـتطاعة رفقة أصدقاء أوفياء، وربط علاقات عاطفيـة تدريجيا، والابتعاد عمـا يعكر المـزاج. ودون ترتيب مني تغيرت أشـياء كثيرة، مثل الإقامة، وأصبح لدي أصدقاء جددا من كلا الجنسين، لكني مع هذا لم أشعر بميل إلى زينب وهـي تريد امتلاكـي، رغم أنها لم تـرى في إلا وسـامة وتفوقا في الدراسـة، أما جسدي فيميل إلى الهزال، وكأني خارج من مرض عضـال، ولا يكاد يسـمع لي صوت، وقد أتلعثم إذا اضطررت إلى الإجابة عن أي سؤال.

بدت لي حريصـة كثيرا على التمسك بي، تغلق علي جميع السـبل حتى لا أنظر إلى غيرها، وتتحكم في توقيـت غـدوي ورواحـي، وحتى أوقـات فراغي، ورغم تعدد اللقاءات على انفراد لم تلامس في شوقا بلقائهـا، أو تلهفـا علـى احتضـانها أو تقبيلها كلما سنحت الفرصـة، بل كانت دائما هي المبادرة. كنت فاقد الإحساس بالأنثى، لم أعتبرها النصف الآخر، بل الشطر المهمل لدي.

أفلحت أشـهرا في مجاراتها دون تجاوب، وكنت وكأنني أجلد، فلا تزال آلام سياط زمردة مسيطرة علـي، وهـي تطحنني دون رحمة بجسـدها الأسـود الصقيل ذي الرائحة النتنة. لكن تمثيل دور العاشق لم يدم طويلا، داخلها شـك في قدراتـي العاطفية، اسـتحال بعد لأي إلى يقين، عندها انتفضت فزعة، ورمقتني بنظرة نكرة ثم غادرت المكان.

مضـت سـنتان لم أشـعر فيهمـا بـأي تغيير في رجولتي المفقودة، وكنت أنتظر المعجزة، أن استيقظ يومـا على فحولة تذهـب عني الكوابيـس، والخوف من مسـتقبل يخفي الويل. عزائي كلمات مهدئة من الطبيـب، بأنه ليس علي أكثر من تهيئة المناخ المريح غذائيا ونفسيا، وترك الباقي للزمن والقدر.

بدا لي أن أنسى الأمر، وإلا فسأجن، وعلي فقط التركيز على الدراسـة والتفوق، والخروج نهائيا من هذا المكان، الحقيقة أنني لم أبتعد كثيرا عن الإقامة الأولى، فأنـا أتوسـط الطريق بين حـي البغاء وبين ضريح سيدي محرز.

ابتعدت عني زينـب أياما، كنـت أراها ترمقني مـن بعيـد، منكسـرة، فلـم تعـد تقترب حتـى من المجموعة، تسـاءل بعضهم عن السبب، وخمنوا أننا ربما تخاصـمنا، وعبثا حاولوا معرفة السبب، وأمام إصـرارهم كذبت، مدعيا أنها طلبت خطوبة رسمية لكنني رفضت.

فوجئت بها يوما تقترب مني بحذر، وتشير علي أن أتبعهـا، ابتعدنـا عـن أنظار المجموعـة، عجزت عن الإفصـاح برأيها في البداية، ساد صمت بغيض بيننا، ولم أكن لأبادر بالكلام، فأنا ممن لا يحسنون التخاطـب، وخاصـة في المواقـف الحرجـة، وأخيرا تغلبت على تأزمها قائلة بنبرات محشرجة:

- ما الأمر ؟

لازمت الصمت، فأنا أعجز من أن أخوض في مثل هذا الشـأن، خاصـة وهي تـرى في فارس أحلامها، وأردفت:

- لماذا تركتني أتعلق بك؟

قلت بصعوبة: لم أبادرك بشيء، أنت التي اخترت وما كنت قادرا على البوح بما بي

- ما كنت لأقدم على تلك الخطوة إلا لما أحسست أن لا روح في لمسـاتك ولا في قبلاتـك، كنـت بـاردا كالثلج.

- كنت أتعذب

وبعد صمت قالت بنبرة تنم عن شفقة:
- متى تم ذلك ؟
- منذ البداية
- هل عرضت نفسك على طبيب؟
- إثر الانهيار العصبي، قدم لي الطبيب المعالج وصفة قد تنصفني بعد سنوات
- لكنه ليس طبيبا مختصا
- ما كنت أقدر على مصاريف هذا الصنف من الأطباء
- ألا تعلم أن بمرور الزمن قد يستعصى العلاج
- ربما
- ربما، وتقولها ببرود
- كل ما يهمني اليوم هو النجاح والتخرج، وبعدها أعرض نفسي على أشهر الأطباء
- متى تحققت من ذلك ؟
- عندما اغتصبتني زمردة
- زمردة ، من تكون زمردة ؟
- فتاة سوداء كالقطران، صعلوكة، خشنة الطباع قوية كبطل في المصارعة
- وما علاقتك بها ؟
- خطيبتي
- خطيبتك؟
- ونحن لا زلنا رضيعين
- والعمل ؟
- أن تخرجيني من حياتك
- بهذه السهولة ؟
- كما أدخلتني بكل سهولة
- لك ذلك

وأضفت: إن كنت حقا تحبينني فاحفظي سري
- لك ذلك

نجحت كلثوم في شهادة الباكالوريا، التحقت بالجامعة، شعبة الآداب بينما كنت أنا بشعبة الفلسفة، التقيت بها، تجالسني أحيانا كلما سنحت، أرى في عينيها تلك النظرة التي بدت لي غريبة لما كانت تزورني في البيت الجديد، نظرة شبيهة بما كنت ألمحه في عيني زينب، لكن لدى كلثوم كانت أكثر عمقا، تتخللها زغللة، وكأنها تهم بالبكاء. خفت أن تتعلق بي فأسفه أحلامها في الآخر، هممت بمصارحتها، لكنني عجزت عن المواجهة، لذلك لم أجد بدا من مجاراتها، فلا أرفض لها طلبا، ولعل ما زاد العلاقة رسوخا، تشبث والدتي بأن ترافقني إلى الشقة بالنهار كلما وجدت فسحة من الوقت. وتطور الأمر إلى المبيت أحيانا كلما تأخرت في العودة إلى مسكنها.

لم تبدر من كلثوم طيلة الأشهر الأولى للسنة الجامعية من أقوال تشير صراحة أنها متعلقة بي، لكن كل تصرفاتها كانت توحي بذلك، فهي تتجنب الوقوف مع أي من الطلبة، وتوافقني بكل يسر على ما أبديه لها بخصوص غدونا ورواحنا، وما يتعلق بدراستها، وسررت بهذا الهامش الذي بقي بيننا، الذي يحول دون تطور العلاقة إلى ما لا أرضاه لها، لكنني لم أكن مرتاحا بالمرة، فقد تعلمت أن لا أستبعد المفاجأة البغيضة في أي وقت.

لمحتها يوما من بعيد وهي منزوية في ركن مع زينب، وطال حديثهما، وحتى أجنب نفسي إحراجا، غادرت المكان غير مرتاح لهذه المحادثة. لقد أوفت زينب بالوعد، فلم تخبر أحدا بسرّي، لكن وقوفها مع كلثوم يجعلني أجزم بأنهما ما اجتمعا إلا من أجلي، خاصة أن نجاة بالسنة الثالثة شعبة الفلسفة، وكلثوم سنة أولى شعبة الآداب، ولا علاقة لهما ببعضهما من قبل.

التقيت بها في الغد، هشت في وجهي كعادتها، لم ألاحظ عليها أي تغيير من ناحيتي، فخمنت أن زينب أرادت استقاء معلومات عني دون أن تفشي سري، لكن رغم هذا لم أستحسن منها هذا السلوك.

غادرت اليهودية التي تعمل لديها والدتي البلاد، فانخفض مستوى معيشتنا، ولم يتبق لنا إلا المنحة الجامعية التي لا تفي بحاجاتنا البسيطة.

---

* فصل من رواية قيد الطبع

أصداء
ومتابعات ثقافية

أصداء

ملتقى الأدباء والكتاب العرب والأفارقة ببنغازي . الجماهيرية

عرض: مسعودة ابوبكر

احتضنت مدينة بنغازي السّاحليّة بالقطر الليبي الشّقيق أيّام 24.25.26 أكتوبر 2010 ملتقى الأدباء والكتّاب العرب والأفارقة وندوة الثقافة العربية الأفريقية (رؤية مستقبلية) واجتماعات المكتب الدّائم للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب. تحت إشراف الرّابطة العامة للأدباء والكتاب بالجماهيرية والمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر والملتقى العام للمنظمات الأهليّة العربيّة والإفريقيّة بالتعاون مع المؤسسة العامة للثقافة ومجلس الثقافة العام وجامعة "قاريونس" تحت شعار: " تفاعل . تلاحم . اتحاد . تقدّم.

بمشاركة أكثر من سبعين باحثا من الأدباء والكتّاب العرب والأفارقة من: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا، السودان، مصر، التشاد، النيجر، غانا، الكاميرون، نيجيريا، العراق، الإمارات، اليمن، سوريا، الأردن وعُمان والبحرين.

وقد شارك اتحاد الكتّاب التونسيين في هذه الفعاليّات بوفد ضمّ كلّ من صلاح الدين الحمادي ومسعودة بوبكر وساسي حمام عن الهيئة المديرة والمهدي عثمان عضو الاتحاد.

أقيم على هامش الملتقى معرض لصور التقطت لأدباء وكتّاب عرب وأفارقة في لقاءات شخصيّة مع القائد معمر القذافي إلى جانب معرض للكتاب الثقافيّ وأمسيات شعريّة بعنوان: " أمسيات التليسي الشعريّة" عرفانا ووفاء لدور الأديب الرّاحل خليفة التليسي.

شارك بتقديم كلمات الاحتفاء في افتتاح هذه التّظاهرة كلّ من أمين شؤون النّقابات والاتحادات والروابط المهنيّة بمؤتمر الشعب العام وأمين المؤتمر الشّعبي لشعبية بنغازي والدكتور خليفة أحواس رئيس لجنة التّنظيم والنّائب الأوّل للاتّحاد العام للكتّاب والأدباء العرب ورئيس اتّحاد الكتّاب الأفارقة البروفسور أتوكاي أوكي والأستاذ محمد سلماوي الأمين العام لاتّحاد الكتّاب العرب والنّاطق باسم الوفود المشاركة الأستاذ صادق جواد رئيس الوفد العمانيّ. وكانت رئاسة اللجنة الإعلاميّة للأستاذ محمد السنوسي الغزالي.

كما تزامن مع فعاليّات الملتقى عقدُ الاتّحاد العام للأدباء والكتّاب العرب اجتماعات المكتب الدّائم لمناقشة جدول أعماله المقرّر، مثّل فيها اتّحاد الكتّاب التونسيين الشّاعر صلاح الدين الحمادي عضو الهيئة المديرة. وتوّجت فعاليّات الملتقى بالإعلان عن تأسيس "الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب والأفارقة" . وقد انتخب ممثّل اتحاد الكتّاب التونسيين عضوا مع اللجنة العربيّة الإفريقيّة المكلّفة بصيانة النّظام

الأساسي والنّظام الدّاخلي لهذا الاتحاد الجديد.

اشتملت النّدوة على برنامج ثريّ بالمحاضرات تناولها دكاترة وأساتذة عرب وأفارقة من زوايا متعدّدة انتقينا منها ما يلي من ملخّص لبعض المداخلات.

عن " أثر الاستعمار على وحدة المصير والهويّة القوميّة " تحدّث الدكتور أبوبكر حسن محمد من السودان، عبر النّقاط التّالية:

- مفهوم الهويّة
- المحاولات الاستعماريّة لطمس الهويّة العربيّة
- التشوّهات الهيكليّة
- الانفصال وتراجع المدّ القومي
- الغزو الثقافي وتحدّي الهويّة القوميّة
- الوعي العربي والتحديات المصيريّة

جاء في خاتمة ورقته: " إنّ النهضة والدّفاع النهضويّ يعني في الأيّام الحاسمة كما يقول المفكر العربي مطاع صفدي . استحضار أعمق قوى المقاومة وأكثرها تنوّعا وخصبا وفعاليّة، إنّها لحظة تشريك الأمّة في صنع مقاومتها، لكن أيّة نهضة لأمّتنا وأيّة إستراتاجيّة دفاع تاريخيّة قادرة على جعل أمّة تنخرط بكلّ ثرائها وإمكانيّاتها؟"

أمّا المفكّر الأكاديمي الدكتور إدريس مقبول من المغرب فيشير في مقدّمة ورقته المعنونة: " أسئلة الهويّة والثقافة لدى الشّباب العربي في أفق القرن الحادي والعشرين" إلى أنّه في عصر الانهيارات الكبرى وفي ظلّ آليات الهيمنة العالميّة تحوّلت الثّقافة الاستهلاكيّة إحدى مجالات تدويل النّظام الرأسمالي إلى آليّة فاعلة لتشويه البنى التقليديّة والأصيلة لمكوّنات الهويّة العربيّة والإسلاميّة للشباب العربي. وبالتّالي تغريبه وعزله عن قضاياه وإدخال الضّعف لديه والتّشكيك في جميع قناعاته الوطنيّة والقوميّة والدّينيّة، الشّيء الذي بات يلحّ على الفاعلين والمهتمّين بالشّأن الشّبابيّ ومستقبله للنّهوض تفكيرا في إمكانيات خلق مقاومة تربويّة وثقافيّة تستند إلى رؤية سياسيّة واجتماعيّة لتقوية هذا العنصر/الرّهان من أجل الصّمود والمقاومة في عالم لا يعطي اعتبارا لمكوّنات الخصوصيّة والهويّة الثّقافيّة ، بل يعمل على تفتيتها وسحقها في منظور كليانيّ يستهدف اغتصاب القناعة في الانتماء للأرض والوطن والتّاريخ والدّين.

من تونس تحدّث المهدي بن عثمان في ورقته عن" دور المثقّف في بناء الكيان الثّقافي العربي الإفريقيّ" وطرح في مقدّمته الأسئلة التّالية:

هل مازال من الممكن الحديث عن مشروع عربيّ في مجالات الثّقافة والسّياسة والاقتصاد؟

هل من الممكن أن نجزم بوجود كيان ثقافيّ عربيّ إفريقيّ قبل أن نتحدّث عن خصوصيّة كلّ فكر داخل كلّ قطر؟

إذا كان لا بدّ من أن نجيب بـ "نعم" على كلّ الإشكاليّات المطروحة آنفا فإنّه لا بدّ من وضع السّؤال التالي على طاولة التّشريح: ما الذي قدّم المثقّف العربيّ للإنسان العربي؟ وبالتّالي من الضّروريّ أن نسأل ما الذي قدّم المثقّف الإفريقيّ للإنسان الإفريقيّ؟

وطالما أنّ الفكر الفلسفي يستدعي الانطلاق من الإشكال وطرح السّؤال فإنّ انطلاقنا منه يؤكّد وعينا بأهمّية الأزمة

أصداء

أصداء

التي يعيشها المثقّف العربيّ والإفريقيّ.

ويرى الباحث أنها أزمة ما انفكّت تتضخّم يوما بعد يوم كلّما ازدادت الأزمة العربيّة عمقا، وكلّما تراكمت المشاكل الحضاريّة في الدّول الإفريقيّة. سياسيّة وثقافيّة واقتصاديّة.

عن "جذور وآفاق التّفاعل الثّقافي العربيّ الإفريقيّ" تحدّث الدكتور جبار حميدي الرّبيعي من العراق حيث يرى " أنّ إفريقيا مهمّة بالنّسبة إلى العرب كما هي أهمّية العرب لإفريقيا قديما وحديثا. وسلّط الضوء من خلال بحثه على بعض النّماذج من المشتركات الثّقافيّة والفنيّة والتّراثيّة بين العرب وإفريقيا والحقائق المهمّة المرتبطة بها خلال مختلف العصور. والتي تبيّن ضمن ما تبيّن:

أنّ قراءة لفنون والتّراث العربي والإفريقيّ منذ أقدم العصور توضيح لجدليّة الرّوابط الثّقافيّة المشتركة بين أبناء المجتمعين في مختلف المناطق وخاصّة في الشّمال والشّرق والوسط والجنوب من القارّة الإفريقيّة ومحيطها.

من الجزائر اختار الدكتور حفناوي بعلي التحدّث في محاضرته عن " المثقّف الإفريقي الطّبيب الأديب فرانز فانون من المارتينيك نموذجا" فقد ولد هذا الكاتب في مدينة "فورديفرانس" في 20 جويلية عام 1925 ومن يعرفه جيّدا يكون قد لاحظ من غير شكّ حساسيّته المرهفة فقد أكد في وجه التمييز العنصريّ الصّارخ الذي ظهر بالمارتينيك مع سقوط باريس زنوجته ويصرخ بها في وجه البيض. إنّ القراءة الدّقيقة لكتابات فانون تجعلنا نلمس من خلال تفكيره ومن خلال شخصه ظاهرة هامّة من الظّواهر التي تلازم المثقّف الملتزم وهي المجابهة الثّقافيّة للاستعمار. من كتبه: " معذّبو الأرض" . "سود البشرة " .

من مصر قدّم الدكتور رمضان ثابت محمد أبو سمرة مداخلة بعنوان :

" مدى تأثير الثقافة العربيّة في الثّقافة الإفريقيّة" جاء فيها " عملت الهجرات العربيّة إلى إفريقيا على إضفاء الصّبغة العربيّة الإسلاميّة على منطقة شرق أفريقيا، لأنّ هؤلاء المهاجرين لم يعيشوا بمعزل عن السكّان المحليّين بل اختلطوا بهم وانصهروا معهم وأثّروا فيهم وتأثّروا بهم. وتعتبر الثّقافة العربيّة الإسلاميّة هي المؤثّر الأبرز في تاريخ إفريقيا السياسيّ والثّقافيّ والاجتماعين وذلك نظرا لطابع الشّمول الذي طبعت به حياة المجتمعات الأفريقيّة منها . ولفهمها الواقع ومتطلّباته باعتدال دون إفراط ولا تفريط. بل ساهم العرب في تفعيل وتطوير الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في المناطق التي استقرّوا بها واليهم يرجع الفضل في ظهور العديد من المدن والممالك الأفريقيّة.

الدكتور علي يعقوب جالو رئيس قسم اللغة العربيّة بكليّة اللغة العربيّة بالنّيجر ضمّن ورقته بحثا حول " الثقافة العربيّة في أفريقيا والتحدّيات المعاصرة

(غرب أفريقيا نموذجا) جاء فيه: ربطت الثّقافة العربيّة بين شمال القارّة وجنوب الصّحراء وغربها وشرقها لعدّة قرون حتّى احتلّها الاستعمار الغربي وقسّمها إلى دويلات ورسم بينها حدودا وهميّة وفرض لغته

على شعوبها وحارب الثّقافة العربيّة الإفريقيّة، ولمّا رحل الاستعمار حاولت شعوبها استرداد هويّتها الثّقافيّة ألا وهي الثّقافة العربيّة بافتتاح مدارس عربيّة وإرسال بعثات علميّة إلى الدّول العربيّة وغيرها.

عن " دور الهجرات في التواصل الثّقافي العربي الإفريقيّ (الهجرات الإسلاميّة نموذجا" تحدّث الدكتور قمر محمد قمر من التشاد. ممّا جاء في استنتاجات بحثه:

إنّ الصّلات بين العرب والأفارقة صلات موغلة في القدم ترجع إلى ما قبل دخول الإسلام وبنيت هذه العلاقات القديمة على تلك التبادلات التّجاريّة التي كانت تتمّ بينهم بالإضافة إلى بعض الهجرات الجماعيّة التي قام بها العرب إلى أفريقيا وكذلك مصاهرة بعض التجّار والمهاجرين العرب الأفارقة، إلاّ أنّ دخول الإسلام زاد هذه الصّلات متانة وقوّة.

إنّ هذه الهجرات كانت امتدادا وتواصلا لنظائرها ومثيلاتها قبل الإسلام وأنّها توالت عبر فترات التّاريخ المتعاقبة.

إنّ التّرابط الجغرافيّ للبلاد العربيّة والأفريقيّة وما نجم عنه من أحداث تاريخيّة يؤكّد حقيقة وحتميّة اندماج العرب والأفارقة. ويؤكّد ادّعاء بعض الشّعوب الإفريقيّة نسبا عربيّا يعود بأصولها إلى الجزيرة العربيّة.

كانت الهجرة أحد جسور التواصل والتلاقي والإخاء العربيّ الإفريقيّ، وساهمت في تلوين النّسيج الاجتماعيّ بسمات خاصّة تعكس التّمازج والاندماج بين الجانبين.

ظهر التسرّب السلمي كسمة غالبة على الهجرات العربيّة إلى أفريقيا، فلم تصطدم بالسكّان المحليّين، بل ساعد ذلك على اندماج المهاجرين فيهم.

إنّ العلاقات بين العرب والأفارقة (الأفروعربيّة) تستمدّ عمقها وأصوليّتها من حقائق الجغرافيا وأحداث التّاريخ، إضافة للدّين وإنّ التّواصل والتّلاحم بينهما شملا مختلف مناحي الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة بما جعل كل من الجانبين عمقا استراتجيّا للآخر في الماضي والحاضر وحتما في المستقبل.

الهجرات الإسلاميّة إلى القارّة الإفريقيّة ساهمت بفعاليّة في نشر الإسلام وتعاليم الدّين الإسلاميّ، إضافة لنشرها اللغة العربية في شرق وغرب القارة.

ساهمت هذه الهجرات في رأب الصّدع ونزع فتيل العديد من الأزمات القائمة بين الدول الإفريقيّة، بل وسعت إلى خلق أجواء الأخوّة والمحبّة ومتانة العلاقة بين هذه الدّول وصارت نموذجا إلى يومنا الحاضر.

إنّ الجذور التاريخيّة للصّلات الكانميّة العربيّة واغلة في القدم، تعود بدايتها الأولى إلى قبل دخول الإسلام، ويعود الفضل للمهاجرين العرب.

إنّ حوض بحيرة تشاد ظلّ العامل القويّ في جذب كثير من الشّعوب العربية المهاجرة في مراحل متفاوتة، وساهمت في ربط العلاقات السياسيّة والثقافيّة الطيّبة مع الدول الإسلاميّة.

من الحقائق التّاريخيّة في المنطقة أنّ اللغة العربيّة هي لغة التّعامل الشّعبيّ وهي الصّلة وأداة التّفاهم بين مختلف القبائل التي لها لهجاتها.

أصداء

أصداء

من توصيات هذه الندوة:

توحيد جهود المثقّفين الأفارقة في الدّاخل والخارج في عمل ثقافيّ تشترك فيه النّخب الأفريقيّة المختلفة لدعم ثقافة الوحدة في مواجهة ثقافة الانفصال.

تبلّي وزارات الثّقافة والمراكز الثّقافيّة في الدّول الأفريقيّة ونظائرها المهتمّة بالشّأن الأفريقيّ في الخارج طرحا وحدويّا واضحا في مواجهة الطّرح الانفصاليّ الذي تتبناه بعض الجهات النّاشطة في الدّاخل والخارج.

لا بدّ من إنتاج فكر عربيّ إفريقيّ يساهم في تعزيز التّواصل على أسس علميّة محكمة ، وليست على أسس عاطفيّة وتاريخيّة .

المطالبة بعودة الآثار والفنون الأفريقيّة المصادرة إلى أصولها وربطه من جديد بثقافتها وساحتها الأمّ لتمكين أبناء أفريقيا من الاطّلاع على عظمة موروثهم الفنيّ والحضاريّ وعلى تاريخهم المجيد.

التّأكيد على إقامة متاحف متخصّصة للفنون والتّراث تتولى جمع الآثار الثقافيّة ، الفنّية والأدبيّة والتّراثيّة العربيّة الأفريقيّة المشتركة المتناثرة وحفظها باعتبارها ملك أبناء إفريقيا عموما ولتسهم في إغناء البحوث والدّراسات العربيّة الأفريقيّة.

على الدول الأفريقيّة ومؤسّساتها التعليميّة أن تهتمّ بالثّقافة العربيّة لأنّها ثقافتها الأصليّة.

عقد مؤتمرات وندوات تجمع مثقّفي العرب والأفارقة سنويّا لتبادل الأفكار التي ستدفع العلاقات العربيّة الأفريقيّة نحو التقدّم والتّطوّر.

طبع إنتاجات الأدباء الأفارقة ممّا سيشجّعهم للإنتاج باللغة العربيّة.

تنفيذ مهرجانات ثقافيّة وتراثيّة مشتركة في المسرح والموسيقى والشّعر

إنشاء جائزة ثقافيّة تهتمّ بالآداب العربيّة الأفريقيّة.

بعث منظّمات مشتركة تعنى بالتّراث.

أنشطة النوادي

صالون الوفاء

بعث اتحاد الكتاب لقاء شهريا بعنوان صالون الوفاء ليتم في كل مرة تكريم رمز من الرموز الادبية آو الثقافية أو الفكرية في بلادنا وفي أولى جلسات صالون الوفاء وبحضور عدد كبير من الاعلاميين والمتابعين للشأن الثقافي والمهتمين به تمت استضافة الدكتور عبد السلام المسدي والاحتفاء به باعتباره علما من أعلام تونس والوطن العربي وإحدى الشخصيات الفكرية التي بقيت علامة بارزة في الاذهان في كثير من أصقاع الارض... الدكتور عبد السلام المسدي مهتم بالعلوم اللغوية والنقد الادبي وتحليل الخطاب السياسي والكتابة الابداعية وقد صدرت له عديد الكتب في اختصاصات متعددة... الدكتور المسدي توجه إليه عدد من الحاضرين بأسئلة واستفسارات حول المسارات والاجناس المتعددة لابداعه... وفي رده كان الدكتور عبد السلام المسدي واضحا وصريحا وصادقا ومتواضعا.

فقد كتب ضيف الاتحاد الشعر والرواية والنقد وكان صاحب حشد من المشاريع من بينها أيضا اللساني والسياسي والجمالي الإبداعي... الدكتور المسدي تحدث عن ذكرياته مع المثقفين في تونس وفي السعودية أيام كان سفيرا في المملكة التي ظلت تربطه بمثقفيها وأدبائها علاقات وطيدة.

نادي «حوار»

تولت تنشيط نادي حوار المخصص للمبدعين باللغة الفرنسية الشاعرة نجاة الورغي وذلك على امتداد عام 2010 وقد كانت حصيلة النشاط استضافة عشرة مبدعين تمت محاورتهم بخصوص تجاربهم الابداعية في مختلف الاجناس الادبية شعرا وقصة ورواية ونقدا وهؤلاء هم على التوالي جليلة حفصية وأحمد كريستو (خلال شهر جانفي) سمير المرزوقي وليلى المكي (شهر فيفري) فاروق كشك وحاتم بوريال (شهر أفريل) علياء المبروك (خلال شهر ماي) عبد الرزاق الجملي (خلال شهر اكتوبر) منوبية بن غذاهم وياسمين الكراي (خلال شهر ديسمبر) وتجدر الملاحظة الى أن هذه الاخيرة المحتفى بها هي تلميذة سنها 15 سنة تكتب الرواية وقد تحصلت على جائزة في اسبانيا وتمت ترجمة إحدى رواياتها الى اللغة الكتالونية.

أنشطة النوادي

نادي السرد

قام القاص عمر السعيدي بتنشيط نادي السرد حيث استضاف خلال العام 2010 اثني عشر مبدعا في مجالي القصة والرواية ومحاورتهم حول تجاربهم الابداعية وحول آخر إصداراتهم وهم على التوالي:

رضا بن صالح حول مجموعته القصصية: العابرون. حفيظة قارة بيبان حول كتابها: أجمل الفضائح - فتحية الهاشمي حول روايتها مريم تسقط من يد الله. بوراوي عجينة حول مجموعته القصصية لمسات متوحشة. الساسي أحمد حول روايته الخطى المتسارعة. الناصر التومي حول مسرحيته عليسة واتياس. وليد سليمان حول مجموعته القصصية ساعة انشتاين الاخيرة. بسمة البوعبيدي حول روايتها: رائحة الخوف. يحيى محمد حول تجربته الابداعية. مراد الحجري حول مجموعته القصصية : المتنبي يحتفل بعيد ميلاده محمد الباردي حول روايته : حنة. ثم آمال مختار حول روايتها : الكرسي الهزاز. وقد تولت تقديمها الاستاذة ألفة يوسف المديرة العامة للمكتبة الوطنية.

نادي الشعر

سهر على تنشيط هذا النادي الشاعر عادل الجريدي خلال العام 2010 حيث استضاف سبعة شعراء تمت محاورتهم حول تجربتهم الابداعية ومناقشتهم بخصوص آخر اصداراتهم وهم على التوالي: محمد عمار شعابنية «ثلاثون سماء تحت أرض الخوارزمي» السيد بوفايد «رياح الشتات» محمد النجار «قصيدة الماء» خالد الكبير «ترانيم الروح» جلال باباي « الاصوات تنفذ الى مآقي الماء» نجاة العدواني «من سرق ظلي» كمال قداوين «نافذة للصباح القديم» وقد تولى الشاعر عزالدين بن محمود تنشيط آخر حصة لنادي الشعر خلال سنة 2010 من خلال استضافته للشاعر والمسرحي عبد القادر بن سعيد الذي تمت محاورته حول تجربته الابداعية في المجالين.

مداخلات أدبية وتظاهرات مختلفة

متابعات ثقافية

محاضرة : الشعر والفلسفة

بالاضافة الى نشاط النوادي استضاف نادي الشعر الاستاذ الشاعر عزالدين العامري الذي تحدث عن تجربته الابداعية كما استهل اللقاء بتقديم محاضرة بعنوان «الشعر والفلسفة» وكان لقاء متميزا بكثرة الحضور وتفاعلهم مع المسائل المطروحة في المحاضرة وذلك يوم 8 جانفي 2010.

محاضرة : الشعر والمسرح

ألقى هذه المحاضرة في رحاب الاتحاد وبحضور عدد كبير من المتابعين مدير المسرح الوطني محمد ادريس وذلك يوم 17 فيفري 2010 وقد تحاور الضيف عقب المحاضرة مع الحاضرين حول عديد المسائل المتصلة خاصة بالمسرح وبتجربة محمد ادريس في المسرح الوطني وفي مدرسة السيرك التي يتولى الاشراف عليها وتم التطرق الى الواقع المسرحي في الجهات والى تنامي ظاهرة «الوان مانشو» وغيرها من المسائل ذات العلاقة بالواقع المسرحي اليوم.

مسيرة رجل وتكريمه

بمناسبة إحرازه على جائزة الدولة التقديرية للآداب حرص اتحاد الكتاب على تكريم الأديب الصديق رضوان الكوني . وقد تم ذلك يوم 27 ماي 2010 بفضاء الاتحاد حيث أقيم معرض لمنشوراته في القصة والرواية وقد أهدى عددا من آخر أعماله الى الحاضرين: روايته «المساعيد» وكتابه «قصص من تونس» وهو كتاب مختارات قصصية مصدرة بوصف وتحليل وملحقه بمسرد للقصة التونسية كان قد اشترك في انجازه مع رفيق دربه في نادي القصة بالوردية الدكتور أحمد ممو. صاحب الفئران الميكانيكية. وقد تحدث رضوان الكوني عن مراحل تجربته وعن اهتماماته وبرامجه في نادي القصة الذي يرأسه وقد التقطت له عديد الصور التذكارية وتم تكريمه في خاتمة اللقاء بإهدائه باقة ورود. وكان ذلك آخر تكريم له اذ بعد مدة قصيرة لبى داعي ربه مخلفا الحسرة والأسى في قلوبنا جميعا.

متابعات ثقافية

لقاء أدبي تونسي - كندي

في إطار التفتح على التجارب الادبية خارج حدود الوطن انتظم لقاء في رحاب الاتحاد مع الروائية الكندية «نادين ڤريتلي» التي تكتب باللغة الفرنسية وقد تولى تقديمها الاستاذ الجامعي عثمان بن طالب حيث اطلع الحضور على مختلف كتاباتها من خلال عرضها لنسخة من كل عنوان صدر لها... الحضور توجهوا لها بالسؤال عن واقع الرواية الكندية وعن محاور اهتمامها في اعمالها الروائية معرجين بالسؤال عن مدى تفاعل الناس في كندا مع معاناة الشعب الفلسطيني في نضاله المتواصل ضد الاحتلال. وقد عبرت الضيفة عن سعادتها باللقاء وانبهارها بمستوى الحوار.

لقاء أدبي تونسي - ألماني

شهدت أروقة وقاعات اتحاد الكتاب التونسيين مساء الخميس 8 أفريل 2010 احتفالا بصدور المؤلف المشترك «أنا وأحمد» الموجه للأطفال باللغتين العربية والالمانية بقلم: كل من الكاتب صلاح الدين الحمادي عضو اتحاد الكتاب التونسيين ويورجن يانكوفسكي عضو اتحاد الكتاب الالمان وعضو في جمعية الكتاب الاوروبيين KOGGE.

هي قصة أطفال تونسية ألمانية جاءت نتيجة ثمرة تعاون ثقافي بين الكاتبين ويذكر أن يورجن يانكوفسكي الذي جمعته وشائج بتونس عبر عنها في كلمته الداعية الى مزيد الترابط ما بين المبدعين التونسيين والألمان. هو الآن نائب رابطة "فريد رش بودكر كرايس" الاتحادية وله عديد المؤلفات في مجال القصة وأدب الاطفال إضافة إلى مؤلفاته الموسيقية.

إصدارات جديدة

بقلم: أبو يحيى

فسيفساء فكريّة:

صدر هذا الكتاب خلال شهر أكتوبر 2010 عن دار سنابل للنشر بسليانة (تونس) وقد ضمنه صاحبه عثمان الجلاصي الشريف مجموعة من المقالات الفكرية والسياسية التي تولى تعريبها ونشرها على صفحات الجرائد منذ سنتين بمناسبة السنة الوطنية للترجمة.

يقول عثمان الجلاصي الشريف في توطئة هذا الكتاب (ها أنا أضع بين يديك هذا المجهود المتمثل في مجموعة من المقالات الفكرية في مجال السياسة والثقافة والبيئة والتربية وغيرها من المجالات ذات الصلة بالعلوم الانسانية وبالفكر السياسي عموما آملا أن أكون قد وفقت في اختيارها وترجمتها.. والمواضيع التي تناولتها مختلف المقالات هي مواضيع الساعة بل هي محاولة للاجابة عن الأسئلة الأكثر حرقة والتصاقا بمصير الأفراد والشعوب..).

ومن النصوص المترجمة: وظيفة الانسان (لروبار هانتش). لا لرفض الآخر (إدقاربيزاني). اكتشاف الذات من خلال الآخر (كاي بولاك). الثقافة بترول الغد (برينو أوري لافولي) وغيرها من النصوص الأخرى ذات العلاقة بعديد القضايا والمسائل المصيرية اليوم كمشكل الغذاء والبيئة والتربية ومكافحة البطالة.. وتمتد علاقة عثمان الجلاصي الشريف بالترجمة الى ما يزيد عن ثلاثة عقود حيث ترجم الرواية والقصة والمسرحية والشعر وأدب الأطفال من ذلك: القلمة (قصص مترجمة) / شيء من الحياة (شعر مترجم) / الغزالة وقصص أخرى (قصص مترجمة).

باختصار كتاب «فسيفساء فكرية» كتاب هام وجدير بالقراءة.

- للطفل نغنّي (شعر):

بعد مرور ثلاثين عاما على صدور مجموعته الشعرية الأولى (عملية الضرب والقسمة) صدرت للشاعر علي سعيد بوزميطة (أصيل جرجيس) مجموعة شعرية تضمنت أناشيد وأغان خاصة بالأطفال وذلك بعنوان للطفل نغني. تضمنت ثلاثين نصا بعضها تم تلحينه وانشاده من طرف «كورال المريخ» وعن عالم الطفولة يقول الشاعر: عالم الأطفال رحله/بين درب ومسافة/أي شيء منه أحلى/فيه علم وثقافة/فيه حلم وخيال/فيه لهو وطرافة/عالم دنيا جميلة/بين جدّ وخرافة/.

لقد تولى الشاعر صالح الطرابلسي التقديم لهذه المجموعة، يقول: («للطفل نغنّي» أشعار تعبق بنبض الحياة في طفولتها تستنشق من ذات الطفل تفاصيلها إيقاعاتها خفيفة تغري بالانشاد وهي محملة بالمثل العليا والقيم النبيلة..)

من عناوين نصوص هذا الكتاب نذكر: أنا الطفل/ وطني الأخضر/ على العهد/ دعني أمشي/ حديقة الأحلام/ لا تقل لي/ وطن الشمس/ معلّمي... يقول في هذا النشيد:

معلّمي أنت الهدى
ستبقى دوما سيّـــدا
علّمتني ربّيتنـــي
أحيا عزيزا سيّـــدا
العلم يا معلمـــي
هواه سار في دمـــي
أنت الذي حبّبتني
في العلم يا معلّمـــي.

(للطفل نغنّي) كتاب عبق بالأناشيد في لغة فصيحة تغرس في الطفل قيما نبيلة وتغريه بايقاعها فيتصفح الكتاب دون ملل..

إصدارات جديدة

- عبق الإبحار (شعر):

هي المجموعة الشعرية العاشرة في رصيد الشاعر منصور أحمد اللطيف، صدرت في أواخر نوفمبر 2010 عن دار الخدمات العامة للنشر لصاحبها الدكتور محمد صالح بن عمر.

«عبق الإبحار» ضمّنها منصور أحمد اللطيف ثلاثة وثلاثين نصّا شعريا كتبت فيما بين عامي 2009 و2010 أهداها صاحبها الى «أبناء غزة الأبطال الصامدين الصابرين بالرغم مما يتعرضون له من مرارة الحصار والمعاناة والى كل القلوب الرحيمة التي حاولت وتحاول كسر الحصار ووضع حدّ للمعاناة الانسانية» ومن عناوين هذه القصائد: زهرة الكفاح - مناجاة - آهة حائر - غرابة أحمق - الغزال المميّز - محنة موجعة - عبير الأماني - همسة ودّ... عبق الإبحار.

وإضافة الى الشعر فقد أدرج صاحب الكتاب مجموعة من المقالات التي تناول فيها أصحابها تجربة منصور أحمد اللطيف الشعرية وهي للأساتذة الآتي ذكرهم: حسين المزوغي - توفيق السبعي - عبد السلام بن فطوم - محمد صلاح الدين بن حميدة - وقد نشر أغلبها على صفحات الجرائد.

- رحلة ابن خلدون:

للكاتب علي دبّ صدرت عن دار محمد علي الحامي للنشر بصفاقس خلال العام 2010 رحلة ابن خلدون وهي رواية للشباب في ثلاثة أجزاء (90 صفحة لكل جزء) وعنوان لكل جزء أيضا فقد جاء الجزء الأول بعنوان (آمال عريضة) والجزء الثاني بعنوان (مغامرات في الزمن الضائع) والثالث بعنوان (القرار الصعب) وذلك في إخراج أنيق وبأسلوب يشد اليه القارئ وقد تولى المراجعة التاريخية لهذه الرحلة أستاذان جامعيان هما الدكتور محمد حسن والدكتور الهادي التيمومي.

ومن خلال هذه الرحلة يظهر الكاتب علي دبّ شخصية ابن خلدون وسط مغامرات الحرب والإيمان بأنّ الأحلام لا يمكن في نهاية المطاف خذلانها وفي نصّه السردي كشف علي دبّ بعض الدسائس في القصر وصراع ابن خلدون مع المتآمرين ضدّه كاشفا للشباب في سنة الشباب تفاصيل دقيقة عن الوجه الآخر لابن خلدون المؤرخ والمفكّر في أحوال الأمم والشعوب.

إصدارات جديدة

. أي كنز تمتلكه عيناك:

عن دار صامد للنشر بصفاقس صدرت مجموعة شعرية لعفيفة الحاج حسن بعنوان (أي كنز تمتلكه عيناك) تضمنت 11 قصيدة بعضها عمودي وبعضها حرّ ومن عناوين هذه النصوص نذكر: اياكم وخضراء الدّمن. الموت المشقّر. رحلة في الشريان. أي كنز تمتلكه عيناك وهي آخر قصيدة في هذا الكتاب الذي مسح 118 صفحة من الحجم المتوسط والذي تولى تقديمه الدكتور محمود طرشونة... وقد جاء في هذا التقديم «أن عنوان إحدى قصائد هذه المجموعة جعل عنوانا لها بأكملها فاختزل فحواها ومعناها... أما اللغة فامرها عجاب تقطع بالقارئ أزمنة وبحارا ومواضيع شتّى وتستحضر أساطير الأولين..»

وبعد...

«وبعد...» هو عنوان مجموعة شعرية للشاعر الايطالي دجوزبي نابوليتانو نقلها الى اللغة العربية الاستاذ عبد المجيد يوسف وصدرت عن دار البراق في حجم كتاب الجيب وتوزعت على 76 صفحة.

«وبعد...» تضمنت 25 قصيدة وقد حرص الاستاذ عبد المجيد يوسف على إرفاق كل نص شعري نقله الى العربية بالنص الاصلي للقصيدة باللغة الايطالية.

هذه المجموعة الشعرية بالايطالية سبق أن نقلت الى الفرنسية سنة 1991 ثم سنة 2006. وقد تم إدراج مقدمة الطبعتين وحبّذا لو أن المعرب كتب توطئة بين فيها أسباب إقدامه على تعريب هذه المجموعة وما أحدثته قراءتها في نفسه حين اطلع عليها لأول مرة خصوصا أن شعر دجوزبي نابوليتانو لا يقبل الفصل بين الكينونة والاحساس رغم الصرامة الظاهرة في المستوى اللساني فالبنية التعبيرية لقصائده تنهل من منبع دافق من المشاعر والافكار المترددة بحرية وتلقائية في وجدان الشاعر.

لقد جاء في قصيدة بعنوان «هل أنت مجرب؟» ما يلي:

أمازلت تذكر تجربة سنوات عمرك الأولى
حين وقع تقرير مصيرك الغض
دون مشيئتك
أم هل تغاضيت عن ذلك بابتسامة ؟
معبرا عن أحلام تحصيها
مثل حبات سبحة ثمينه
نسمه كالأنين
أم شوكة قلق
جنّية ساحرة لقلب خامل

إصدارات جديدة

القيامة... الآن

(القيامة... الآن) هو عنوان رواية لابراهيم الدرغوثي صدرت هذه الايام (جانفي 2011) في طبعة مزيدة ومنقحة وهي الطبعة الثالثة من هذا العمل السردي وقد صدرت عن دار البراق للطباعة والنشر والتوزيع (بنبلة - المنستير) علما بأن الطبعة الأولى سورية وذلك سنة 1994 عن دار الحوار باللاذقية، أما الطبعة الثانية فتونسية بتاريخ 1999 وذلك عن دار سحر.

(القيامة... الآن) في طبعتها الجديدة مسحت 122 صفحة من الحجم المتوسط وتوزعت على فصول أربعة هي: علامات القيامة - البعث والنشور - نعيم الفردوس - أبواب الجحيم.

تقول الاستاذة نزيهة الخليفي عن هذه الرواية: «يقوم منطق الحكي في القيامة... الآن على التشظي والتفكك فترد الأحداث متنافرة يتبرّأ بعضها من البعض الآخر.. ولئن وظف ابراهيم الدرغوثي في صياغة هذه الرواية اللامعقول والعجائبي والغريب فإن ذلك لا يمنع من تبين منطق دقيق للحكي يقوم على الاسترسال الدلالي والمراوحة بين العود على البدء والبدء على العود والانتقال من الواقعي إلى الخيالي».

حنين المسافة

بعد مجموعته الشعرية الأولى (ومضات من أرشيف العمر) والثانية (حب وصخب) أصدر محمد الطاهر السعيدي مجموعته الشعرية الثالثة بعنوان (حنين المسافة) وذلك خلال شهر جانفي 2011، وقد أهدى هذا العمل إلى روح زوجته.

هذا العمل الشعري الجديد تضمن 36 قصيدة توزعت على خمسة عناوين كبرى داخلية: ذاكرة المسافة (8 قصائد) - سفر في الذات (5 قصائد) - رؤى وأخيلة (9 قصائد) - سفر في الشعر (9 قصائد) - حديث الغريب (5 قصائد).

حنين المسافة امتد على 110 صفحات وصدر على نفقة الشاعر الذي قدم لكتابه بما يلي: «ي آخر النفق تجدني أنتظرك أيها القارئ المخاتل.. أمد لك يدا مرتعشة تطفح بما لذّ وطاب من فاكهة الشعر: ألم وجراح، سفر في الذاكرة والشعر وفي الذات.. قلق ووحدة واندهاش، مشاعر مكتظة متمازجة مفارقة للذات حينا ومتماهية معها حينا آخر...».

ويقول الشاعر في إحدى قصائده:

أمتشق حرفا بحد السيف
تتكلم حوافر العبارة تحتي
أرسم على الجبين راية الرفض
يكتبني التاريخ حفنة من تراب
يكتبني الشعر بجمر الكلمات